

❖ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدٌ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب:-

1- إذا كانت من غير بصيرة من المجادل 2- أو بغير قاعدة مرضية

و أن لا يجادلوا إلا بـ: -(((التي هي أحسن))) بـ:-

1- حسن خلق و لطف و لين كلام 2- و دعوة إلى الحق و تحسينه،

3- و رد عن الباطل و تهجينه بأقرب طريق موصل لذلك 4- و أن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة

و المغالبة و حب العلو 5- بل يكون القصد بيان الحق و هداية الخلق

(إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن:-

ظهر من قصده و حاله، أنه لا إرادة له في الحق، و إنما يجادل على وجه المشاغبة و المغالبة

فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع.

(وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ)

أي: و لتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على:- الإيمان بما أنزل إليكم و أنزل إليهم،

و على الإيمان برسولكم و رسولهم، و على أن الإله واحد، و لا تكن مناظرتكم إياهم:-

على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل

كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم:-

يقدر بجميع ما معهم، من حق و باطل، فهذا ظلم، و خروج عن الواجب و آداب النظر،

(وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) منقادون مستسلمون لأمره - و من آمن به، و اتخذها إلها، و آمن بجميع كتبه و رسله،

و انقاد لله و اتبع رسله، فهو السعيد - و من انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقي **46**

(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد هذا (الْكِتَابُ) الكريم المبين كل نبأ عظيم، الداعي إلى كل خلق فاضل،

و أمر كامل، المصدق للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون.

(فَالَّذِينَ ءَايَنَهُمُ الْكِتَابُ) فعرفوه حق معرفته، و لم يداخلهم حسد و هوى.

(يُؤْمِنُونَ بِهِ) لأنهم تيقنوا صدقه بما لديهم من **الموافقات** و بما عندهم من **البشارات**،

و بما تميزوا به من معرفة **[الحسن و القبيح و الصدق و الكذب]** - الَّذِينَ أَخَذُوهُ فَتَلَوْهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ مِنْ أَحْبَارِهِمْ

الْعُلَمَاءِ الْأَذْكِيَاءِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَ أَشْبَاهِهِمَا.

(وَمِنْ هَؤُلَاءِ) الموجودين - الْعَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ وَ غَيْرِهِمْ (مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) إيماناً عن بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته.

(وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ)

الذين دأبهم الجحود للحق و العناد له. و هذا حصر لمن كفر به أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق **47**

و لهذا قال: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا) تقرأ (مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا)

لو كنت بهذه الحال (لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها،

فأما و قد نزل على قلبك، كتاباً جليلاً تحديث به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة

من مثله، فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته و فصاحته،

و أن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجارياً له أو على منواله **48**

(بَلْ هُوَ) هذا القرآن (ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ) لا خفيات (فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) وهم سادة الخلق و عقلاؤهم،

(وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) لأنه لا يجحدها إلا جاهل:-

تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، و هو متمكن من معرفته على حقيقته،

و إما متجاهل:- عرف أنه حق فعانده، و عرف صدقه فخالفه **49**

(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ)

اعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول و لما جاء به، و اقترحوا عليه نزول آيات عینوها،

و لهذا قال:- (قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ) إن شاء أنزلها أو منعها

(وَلَئِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) و ليس لي مرتبة فوق هذه المرتبة و إذا كان القصد بيان الحق من الباطل، فإذا حصل المقصود - بأى طريق - كان اقتراح الآيات المعينات على ذلك ظلماً و جوراً، و تكبرا على الله و على الحق 50

(أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ) في علمهم بصدقك و صدق ما جئت به (أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) (إِن ك فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ) بَيَانًا لِلْحَقِّ، وَ إِزَاحَةً لِلْبَاطِلِ (وَذَكَرَى) مَا فِيهِ حُلُولُ النَّقَمَاتِ وَ نُزُولُ الْعِقَابِ بِالْمُكَذِّبِينَ وَ الْعَاصِينَ، (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) و ذلك لما يحصلون فيه —ن:—

- 1- العلم الكثير، و الخير الغزير 2- و تركيبة القلوب و الأرواح 3- و تطهير العقائد،
- 4- و تكميل الأخلاق 5- و الفتوحات الإلهية 6- و الأسرار الربانية. 51

(قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا) هُوَ أَعْلَمُ مَا تُفِيضُونَ فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ، وَيَعْلَمُ مَا أَقُولُ لَكُمْ مِنْ إِخْبَارِي عَنْهُ، بِأَنَّهُ أَرْسَلَنِي، فَلَوْ كُنْتُ كَاذِبًا عَلَيْهِ لَأَنْتَقَمَ مِنِّي، (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

حيث هم خسروا الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر، و حيث فاتهم النعيم المقيم و حيث حصل لهم في مقابلة الحق الصحيح كل باطل قبيح و فى مقابلة النعيم كل عذاب أليم، فخسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة 52

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾  
يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ  
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنْ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَيَأْتِي فَأَعْبُدُونِ  
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ  
غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِمُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾  
وَكَايْنٍ مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ  
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ  
مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) يقولون - استعجالا للعذاب، و زيادة تكذيب - (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ؟  
(وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى) مضروب لنزوله و لم يأت بعد (لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) بسبب تعجزهم لنا و تكذيبهم الحق، فلو  
أخذناهم بجهلهم، لكان كلامهم أسرع لبلاتهم و عقوبتهم، و لكن - مع ذلك - فلا يستطيعون نزوله  
(وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ) فجأة - فإنه سيأتيهم فوق كما أخبر الله تعالى، لما قدموا لـ « بدر » بطرين مفاخرين،  
ظانين أنهم قادرون على مقصودهم، فأهانهم الله، و قتل كبارهم، و استوعب جملة أشرارهم،  
و لم يبق فيهم بيت إلا أصابته تلك المصيبة، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، و نزل بهم  
(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) هذا و إن لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي،

فإن أمامهم العذاب الأخروي، الذي لا يخلص منهم أحد منه، سواء عُوجِلَ بعذاب الدنيا أو أمهل 53

(يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) في الدنيا، و هو آتيهم لا محالة إمّا في الدنيا و إمّا في الآخرة،

(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) ليس لهم عنها معدل و لا متصرف قد أحاطت بهم من كل جانب،

كما أحاطت بهم ذنوبهم و سيئاتهم و كفرهم، و ذلك العذاب، هو العذاب الشديد 54

(يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) فإن أعمالكم انقلبت عليكم عذابا،

و شملكم العذاب كما شملكم الكفر و الذنوب فَالنَّارُ تَغْشَاهُمْ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهِمْ، وَ هَذَا أَبْلَغُ فِي الْعَذَابِ الْحِسِّيِّ.

(وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) تَهْدِيدٌ وَ تَقْرِيعٌ وَ تَوْبِيخٌ وَ هَذَا عَذَابٌ مَعْنَوِيٌّ عَلَى النُّفُوسِ 55

(يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا) بي و صدقوا رسول الله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ)

فإذا تعذرت عليكم عبادة ربكم في أرض، فارتحلوا منها إلى أرض أخرى حيث كانت العبادة لله وحده، فأماكن العبادة و مواضعها، واسعة، و المعبود واحد، و الموت لا بد أن ينزل بكم ثم ترجعون إلى ربكم، وَ لِهَذَا لَمَّا ضَاقَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مَكَّةُ مُقَامَهُمْ بِهَا، خَرَجُوا مُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، لِيَأْمَنُوا عَلَى دِينِهِمْ هُنَاكَ، فَوَجَدُوا هُنَاكَ خَيْرَ الْمَنْزِلَيْنِ، أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، آوَاهُمْ وَ أَيْدَهُمْ بِنَصْرِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ أَصْحَابُهُ الْبَاقُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَثْرِبَ الْمُطَهَّرَةِ 56

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) أَيِنَّمَا كُنْتُمْ يَدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ، فَكُونُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَ لَا مَحِيدَ عَنْهُ (ثُمَّ إِلَيْنَا تَرْجِعُونَ) 57

{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا} لَنُسَكِّنَنَّهُمْ مَنَازِلَ عَالِيَةً فِي الْجَنَّةِ {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا، مِنْ مَاءٍ وَ خَمْرٍ، وَ عَسَلٍ وَ لَبَنٍ، يَصْرَفُونَهَا حَيْثُ شَاؤُوا {خَالِدِينَ فِيهَا} مَا كَثُرْنَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا

ف— (نِعَمَ) تِلْكَ الْمَنَازِلُ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ (أَجْرُ الْعَامِلِينَ) لِلَّهِ 58

(الَّذِينَ صَبَرُوا) عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) وَ عَلَى اللَّهِ يَعْتَمِدُونَ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَ جِهَادِ أَعْدَائِهِمْ فَصَبَرَهُمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، يَقْتَضِي —

1— **بذل الجهد و الطاقة في ذلك، 2— و المحاربة العظيمة للشيطان،**

الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، و توكلهم، يَقْتَضِي —

1— **شدة اعتمادهم على الله 2— و حسن ظنهم به،** أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال و يكملها،

و نص على التوكل و إن كان داخلا في الصبر لأنه يحتاج إليه في كل فعل و ترك مأمور به و لا يتم إلا به 59

(وَكَايُنَ) فكم (مِنْ دَابَّةٍ) فِي الْأَرْضِ ضَعِيفَةُ الْقُوَى ضَعِيفَةُ الْعَقْلِ (لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا)

لَا تَدْخِرُهُ بَلْ لَمْ تَزَلْ لَا شَيْءَ مَعَهَا مِنَ الرِّزْقِ وَ لَا يَزَالُ اللَّهُ يَسْخَرُ لَهَا الرِّزْقَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِوَقْتِهِ.

(اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) فَكُلُّكُمْ عِيَالُ اللَّهِ، الْقَائِمُ بِرِزْقِكُمْ، كَمَا قَامَ بِخَلْقِكُمْ وَ تَدْبِيرِكُمْ،

\*\*\*اللَّهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا، وَ يُيسِّرُهُ عَلَيْهَا فَيَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُصْلِحُهُ، حَتَّى الدَّرُّ فِي قَرَارِ الْأَرْضِ، وَ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ وَ الْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ،

وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ الْعُرَابَ إِذَا فَقَسَ عَنْ فِرَاحِهِ الْبَيْضَ خَرَجُوا وَهُمْ بِيضٌ فَإِذَا رَأَوْهُمْ أَبَوَاهُمْ كَذَلِكَ، نَفَرَا عَنْهُمْ أَيَّامًا حَتَّى يَسُودَ الرِّيشُ، فَيَظُلُّ الْفَرْخُ فَاتِحًا فَاهُ يَتَفَقَّدُ أَبَوَيْهِ فَيَقِيضُ اللَّهُ لَهُ طَيْرًا صَغِيرًا كَالْبَرْغَشِ فَيَغْشَاهُ فَيَتَقَوَّتُ مِنْهُ تِلْكَ الْأَيَّامَ حَتَّى يَسُودَ رِيشُهُ، وَالْأَبَوَانِ يَتَفَقَّدَانِهِ كُلَّ وَقْتٍ، فَكُلَّمَا رَأَوْهُ أَبْيَضَ الرِّيشِ نَفَرَا عَنْهُ، فَإِذَا رَأَوْهُ قَدْ اسْوَدَّ رِيشُهُ عَطَفَا عَلَيْهِ بِالْحَضَانَةِ وَالرُّزْقِ،

(وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فلا يخفى عليه خافية، و لا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه 60

(وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ) ذل (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) <sup>ط</sup>

وحده و لا عترفوا بعجز الأوثان و من عبوده مع الله على شيء من ذلك.

(فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) فكيف يصرفون عن الإيمان بالله خالق كل شيء و مدبره و يعبدون معه غيره؟ 61

(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) الله سبحانه و تعالى يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه

(وَيَقْدِرُ لَهُ) يضيق على آخرين منهم؛ لعلمه بما يصلح عباده

(إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ) من أحوالكم و أمورك (عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شيء 62

(وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا)

مَنْ الذي نَزَّلَ من السحاب ماء فأنبث به الأرض من بعد جفافه

○ و من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، و من بيده تدبير جميع الأشياء؟

(لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) ليقولنَّ لك معترفين: الله وحده هو الذي نَزَّلَ ذلك (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ)

الذي خلق العالم العلوي و السفلي، و قام بتدبيرهم و رزقهم، و بسط الرزق على من يشاء،

و ضيقه على من يشاء، حكمة منه، و لعلمه بما يصلح عباده و ما ينبغي لهم.

-قل: الحمد لله الذي أظهر حجتك عليهم

(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ما ينفعهم و لا ما يضرهم، و لو عَقَلُوا ما أشركوا مع الله غيره 63



وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوانُ<sup>٤</sup> لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾  
 فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا<sup>ط</sup> فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا  
 وَيُخَطِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفْيَا الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾  
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ<sup>٤</sup> أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾  
 وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

### 30- سورة الروم - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾  
 فِي بَضْعِ سِنِينَ<sup>٤</sup> لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾  
 يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا (في الحقيقة) إِلَّا لَهْوٌ (تلهو بها القلوب) وَلَعِبٌ (تلعب بها الأبدان)  
 وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوانُ<sup>٤</sup> (الحياة الكاملة لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (لما آثروا الدنيا على الآخرة) ﴿٦٤﴾  
 فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (يخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له)  
 فَلَمَّا نَجَّيْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ (فلما زالت عنهم الشدة، و نجى من أخلصوا له الدعاء إلى البر)  
 إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (أشركوا به من لا نجاهم من شدة، و لا أزال عنهم مشقة) ﴿٦٥﴾  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ (ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة)  
 وَلِيَتَمَنَّوْا<sup>ط</sup> (لَا مَ الْعَاقِبَةُ) (ليكملوا تمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام)  
 فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف و أليم العقوبة) ﴿٦٦﴾  
 أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا (يأمن فيه أهله على أنفسهم و أموالهم)  
 وَيُخَطِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفْيَا الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ

(وهو ما هم عليه من الشرك، والأقوال، والأفعال الباطلة)

وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ (هم) يَكْفُرُونَ (فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم) ﴿٦٧﴾

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (فنسب ما هو عليه من الضلال و الباطل إلى الله)

أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ (على يد رسوله محمد ﷺ لَمَّا جَاءَهُ: أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ

(يؤخذ بها منهم الحق، و يُخزون بها و تكون منزلهم الدائم،الذين لا يخرجون منه) ﴿٦٨﴾

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

(وهم الذين هاجروا في سبيل الله، و جاهدوا أعداءهم بذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته)

لَنَهْدِيَنَّهُمْ (لنُبصرنهم) سُبُلَنَا

وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (بالعون و النصر و الهداية) ﴿٦٩﴾

### 30-سورة الروم-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

الْم ﴿١﴾ غَلِبَتِ الرُّومُ

(هُم مِّنْ سُلَالَةٍ الْعِصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَ هُمْ أَبْنَاءُ عَمِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو الْأَصْفَرِ) ﴿٢﴾

فِي آدَنَى الْأَرْضِ (ثبت علمياً بقياسات عديدة أن أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً هو:-

غور البحر الميت، و يقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضاً، حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمئة متر تحت مستوى سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعماق أجزائه إلى قرابة الثمانمئة متر تحت مستوى سطح البحر)

وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾

فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾ (تسع أو ثمان و نحو ذلك مما لا يزيد على العشر لا ينقص عن الثلاث)

لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ

(فليس الغلبة و النصر لمجرد وجود الأسباب، إنما هي لا بد أن يقترن بها القضاء و القدر)

وَيَوْمَئِذٍ (يوم يغلب الروم الفرس و يقهرونهم)



يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (يفرحون بانتصارهم على الفرس و إن كان الجميع كفارا و لكن بعض الشر أهون من

بعض و يحزن يومئذ المشركون) ﴿٤﴾

يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ

وَهُوَ الْعَزِيزُ (الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين) الرَّحِيمُ (بعباده المؤمنين) ﴿٥﴾

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَى ۚ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، [لا بد من وقوعه] وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (أن ما وعد الله به حق) ﴿٦﴾

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(فينظرون إلى الأسباب و يجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده)

وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ (قد توجهت قلوبهم و أهواؤهم و إراداتهم إلى الدنيا و شهواتها و حطامها فعملت لها وسعت و أقبلت بها و أدبرت و غفلت عن الآخرة و من العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة و الذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول و يدهش الألباب و هم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم و أشدهم غفلة عن آخرتهم و أقلهم معرفة بالعواقب) ﴿٧﴾

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ (و أن الذي نقلهم أطوارا من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي)

مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

(غير لائق أن يتركهم سدى مهملين:- لا ينهاون و لا يؤمرون و لا يثابون و لا يعاقبون- أي ليلوكم أيكم أحسن عملا)

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ

لَكَافِرُونَ (فلذلك لم يستعدوا للقاءه و لم يصدقوا رسله التي أخبرت به) ﴿٨﴾

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً  
وَأَثَارُوا الْأَرْضَ

(و أكثر آثارا في الأرض من:- بناء قصور و مصانع و من غرس أشجار و من زرع و إجراء أنهار)  
وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا (فَعَمَرُوا دُنْيَاهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرَ أَهْلُ «مَكَّةَ» دُنْيَاهُمْ)

وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلَّيَهُمُ اللَّهُ لِيُظِلَّيَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾  
ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السُّوْءَ

(أسوأ العواقب و أقبحها أن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)  
(سخريتهم بآياته التي أنزلها على رسله) ﴿١٠﴾

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (ليجازيهم بأعمالهم) ﴿١١﴾

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (يأسون من كل خير) ﴿١٢﴾

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ (بل إنها تتبرأ منهم)

وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (تبرأ المشركون ممن أشركوهم مع الله و تبرأ المعبودون) ﴿١٣﴾

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ (يفترق أهل الخير و الشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا) ﴿١٤﴾

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (يسرون و ينعمون) ﴿١٥﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ

﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكُورُ ﴿٢٣﴾

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٢٥﴾

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٧﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا (جددوا نعمه و قابلوها بالكفر)

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ (التي جاءتهم بها رسلنا) فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (فيه) ﴿١٦﴾

فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا (شِدَّةُ الظَّلَامِ) وَحِينَ تُظْهِرُونَ (قُوَّةُ الضِّيَاءِ) ﴿١٨﴾

(فهذه الأوقات الخمسة أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها و الحمد،

و يدخل في ذلك الواجب منه :-

كالشتملة عليه الصلوات الخمس، و المستحب كأذكار الصباح و المساء و أدبار الصلوات و ما يقتزن بها من النوافل، لأن هذه الأوقات التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها فالتسبيح و التحميد فيها و العبادة فيها أفضل من غيرها)

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ (كما يخرج النبات من الأرض الميتة و السنبله من الحبة و الشجرة من النواة و الفرخ من البيضة و المؤمن من الكافر، و نحو ذلك)

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ (بعكس المذكور) وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (من قبوركم) ﴿١٩﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (بشكم في أقطار الأرض و أرجائها) ﴿٢٠﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا (تناسبكم و تناسبونهن و تشاكلنكم و تشاكلونهن)

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا (لتطمئن نفوسكم إليها و تسكن)

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً (محبة) وَرَحْمَةً (شفقة)

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (يُحْمِلُونَ أَفْكَارَهُمْ وَ يَتَدَبَّرُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَ يَنْتَقِلُونَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ) (٢١)

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنِّكُمْ

(على كثرتكُم و تباينكم مع أن الأصل واحد و مخارج الحروف واحدة،

و مع ذلك لا تجد صوتين متفقين من كل وجه و لا لونين متشابهين من كل وجه إلا و تجد من الفرق بين

ذلك ما به يحصل التمييز) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (٢٢)

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

(سماع تدبر و تعقل للمعاني و الآيات في ذلك) (٢٣)

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا (و البرق الذي يُخَافُ) (فتخافون من الصواعق)

وَطَمَعًا (و يُطْمَعُ فِيهِ) (أى في المطر وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)

إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ (دالة على عموم إحسانه و سعة علمه و كمال إتقانه، و عظيم حكمته)

لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(لهم عقول تعقل بها ما تسمعه و تراه و تحفظه و تستدل به على ما جعل دليلا عليه) (٢٤)

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾  
 وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ  
 وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾  
 ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ  
 فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾  
 بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾  
 فَأَقْرَعُوا وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ  
 ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾  
 مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾  
 مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ

(أن قامت السماوات و الأرض و استقرتا و ثبتتا بأمره فلم تتزلزلا و لم تسقط السماء على الأرض)

ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ

(فقدرته العظيمة التي بها أمسك السماوات و الأرض أن تزولا يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض)

إِذَا هُمْ يَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ (الكل خلقه و ممتلكه المتصرف فيهم من غير منازع و لا معاون و لا معارض)

كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ (و كلهم قانتون لجلاله خاضعون لكماله) ﴿٢٦﴾

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ (الإعادة للخلق بعد موته) أَهْوَبُ عَلَيْهِ (أيسر عليه)

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ

(و له سبحانه الوصف الأعلى في كل ما يوصف به، ليس كمثله شيء، و هو السميع البصير)

وَهُوَ الْعَزِيزُ (فعزته أوجد بها المخلوقات و أظهر المأمورات)



**الْحَكِيمُ** (و حكمته أتقن بها ما صنعه و أحسن فيها ما شرعه) (٢٧)

**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ**

(ضرب الله مثلا لكم -أيها المشركون- من أنفسكم:-

هل لكم من عبيدكم وإمائكم من يشارككم في رزقكم، و ترون أنكم و إياهم متساوون فيه، تخافونهم كما تخافون الأحرار الشركاء في مقاسمة أموالكم؟ إنكم لن ترضوا بذلك، فكيف ترضون بذلك في جنب الله بأن تجعلوا له شريكاً من خلق)

**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**

(و بمثل هذا البيان نبين البراهين و الحجج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها) (٢٨)

**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَنْدَادَ بَغَيْرِ عِلْمٍ** (دلهم عليه و لا برهان قادهم إليه)

**فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ** (لا تعجبوا من عدم هدايتهم فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم و لا طريق لهداية من أضل الله لأنه ليس أحد معارضا لله أو منازعا له في ملكه)

**وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ** (ينصرونهم حين تحقق عليهم كلمة العذاب، و تنقطع بهم الوصل و الأسباب) (٢٩)

**فَأَقِمْ وَجْهَكَ** (انصبه و وجهه إلى الدين الذي هو:-

الإسلام و الإيمان و الإحسان بأن تتوجه بقلبك و قصدك و بدنك إلى:-)

**لِلدِّينِ حَنِيفًا** (مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه)

**فَطَرَتْ** (و وضع في عقولهم حسناتها و استقباح غيرها،

فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة و الباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها،

فوضع في قلوبهم محبة الحق و إيثار الحق و هذا حقيقة الفطرة)

**الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**

**لَا يَبْدِلُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ** (لا أحد يبدل خلق الله فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله)

(مَعْنَاهُ لَا تُبَدِّلُوا خَلْقَ اللَّهِ، فَتَغَيِّرُوا النَّاسَ عَنْ فِطْرَتِهِمُ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

فَيَكُونُ خَبْرًا بِمَعْنَى الطَّلَبِ) (كُتِبَ لَهُ تَعَالَى: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} [آلِ عِمْرَانَ: 97])

**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** (الطريق المستقيم الموصل إلى الله و إلى كرامته،

فإن من أقام وجهه للدين حنيفا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه و طرقه)

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

❖ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ (راجعين الي) وَأَتَّقُوهُ (خافوه و راقبوه)

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ (و خص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة و التقوى)

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه) ﴿٣١﴾

ثم ذكر حالة المشركين مهجنا لها و مقبحا

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ (مع أن الدين واحد و هو إخلاص العبادة لله وحده

و هؤلاء المشركون فرقوه، -منهم من يعبد الأوثان و الأصنام.- و منهم من يعبد الشمس و القمر،  
و منهم من يعبد الأولياء و الصالحين -و منهم يهود و منهم نصارى)

وَكَانُوا شِيعًا

(كل فرقة من فرق الشرك تألفت و تعصبت على نصر ما معها من الباطل و منابذة غيرهم و محاربتهم)

كُلِّ حَزْبٍ (من العلوم المخالفة لعلوم الرسل)

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق و أن غيرهم على باطل) ﴿٣٢﴾

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَيَسْتَعْمِلُوا فُسُوقَهُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ  
 ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾  
 أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾  
 فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾  
 وَمَاءَ آتَيْتُم مِّن رَّبِّ لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ  
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ  
 هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾  
 ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ (مرض أو خوف من هلاك و نحوه)

دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ (و نسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا الله)

ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً (شفاهم من مرضهم و آمنهم من خوفهم)

إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (به من لا دفع عنهم و لا أغنى، و لا أفقر و لا أغنى) ﴿٣٣﴾

لِيَكْفُرُوا (لأن التَّغْلِيلِ) بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَيَسْتَعْمِلُوا (و الله لو تَوَعَّدني حَارِسُ دَرْبٍ لَخِفْتُ مِنْهُ،

فَكَيْفَ وَ الْمُتَوَعَّدُ هَاهُنَا هُوَ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ، فَيَكُونُ) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا (حجة ظاهرة) فَهُوَ يَتَكَلَّمُ (ينطق)

بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (هَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنكَارٍ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ) ﴿٣٥﴾

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا (فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر و تبجح بنعمة الله)

وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ (حال تسوؤهم) بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ (من المعاصي) إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ

(يأسون من زوال ذلك الفقر و المرض و نحوه. و هذا جهل منهم و عدم معرفة) ﴿٣٦﴾

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (يضيق)

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (فهم الذين يعتبرون بسط الله لمن يشاء وقبضه،

و يعرفون بذلك حكمة الله و رحمته و جوده و جذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق) (٣٧)

فَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ

(النفقة الواجبة و الصدقة و الهدية و البر و السلام و الإكرام و العفو عن زلته و المسامحة عن هفوته)

وَالْمَسْكِينِ

(الذي أسكنه الفقر و الحاجة ما تزيل به حاجته و تدفع به ضرورته من إطعامه و سقيه و كسوته)

وَابْنِ السَّبِيلِ (الغريب المنقطع به في غير بلده الذي في مظنة شدة الحاجة)

ذَلِكَ (إيتاء ذي القربى و المسكين و ابن السبيل) خَيْرٌ لِلَّذِينَ

يُرِيدُونَ (بذلك العمل) وَجَهَ اللَّهُ (النَّظَرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ هُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى)

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (في الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ) (٣٨)

وَمَا أَتَيْتُم مِّن رَّبًّا (ما أعطيتم من أموالكم الزائدة عن حوائجكم و قصدكم بذلك)

لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ

(يزيد في أموالكم بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر منها)

فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ (فهذا العمل لا يربو أجره عند الله لكونه معدوم الشرط الذي هو الإخلاص.

و مثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه و الرياء عند الناس فهذا كله لا يربو عند الله)

وَمَا أَتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ

(مال يطهركم من الأخلاق الرذيلة و يطهر أموالكم من البخل بها و يزيد في دفع حاجة الْمُعْطَى)

تُرِيدُونَ (بذلك) وَجَهَ اللَّهُ (النَّظَرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ هُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى)

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُّونَ

(المضاعف لهم الأجر الذين تربو نفقاتهم عند الله و يربوها الله لهم حتى تكون شيئا كثيرا) (٣٩)

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ (بعد هذه الحياة) ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (يوم القيامة)

هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مِّن شَيْءٍ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (فسبحانه و تعالى و تقدس و تنزه و علا عن شركهم) (٤٠)

**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (استعلن الفساد في البر و البحر أي:-**

**فساد معاشهم و نقصها و حلول الآفات بها،**

**و في أنفسهم من الأمراض و الوباء و غير ذلك-**

**يَعْنِي: انْقِطَاعَ الْمَطَرِ عَنِ الْبَرِّ يُعْقِبُهُ الْقَحْطُ، وَ عَنِ الْبَحْرِ يَعْنِي دَوَابُّهُ)**

**بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**

**(و ذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها هذه المذكورة )**

**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا (ليعلموا أنه المُجَازِي على الأعمال**

**فعجل لهم نموذجاً من جزاء أعمالهم في الدنيا- يَبْتَلِيهِمْ بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ اخْتِبَارًا مِنْهُ، وَ مُجَازَاةً عَلَى صَنِيعِهِمْ)**

**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (عَنِ الْمَعَاصِي كقوله: {وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحُسْنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: 168]) (٤١)**

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾  
فَاقْرَأْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ۚ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۚ  
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُمْ بِمَهْدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ  
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ ءَايَنَاهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَةً وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ  
فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ ۚ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾  
اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ  
فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾  
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾  
فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ

(الأمر بالسير في الأرض يدخل فيه السير بالأبدان و السير في القلوب للنظر و التأمل بعواقب المتقدمين)

كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ

(تجدون عاقبتهم شر العواقب و مآلهم شر مآل:-)

1- عذاب استأصلهم

2- و ذم

3- و لعن من خلق الله يتبعهم

4- و خزي متواصل ﴿٤٢﴾

فَاقْرَأْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ (أقبل بقلبك و توجه بوجهك و اسع ببدنك لإقامة الدين القيم المستقيم)

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ۚ مِنْ اللَّهِ

(و هو يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده و لا يرجأ العاملون أن يستأنفوا العمل)

يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (يتفرقون عن ذلك اليوم و يصدرون أشتاتا متفاوتين (ليُرَوَّ أَعْمَالَهُمْ) ﴿٤٣﴾)



مَنْ كَفَرَ (منهم) **فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ** (و يعاقب هو بنفسه لا تزر وازرة وزر أخرى )

وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا (من الحقوق التي لله أو التي للعباد الواجبة و المستحبة)

فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ (يهيئون و لأنفسهم يعمرن آخرتهم) ﴿٤٤﴾

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (مع ذلك جزاؤهم ليس مقصورا على أعمالهم بل يجزيهم الله)

مِنْ فَضْلِهِ (الممدود و كرمه غير المحدود ما لا تبلغه أعمالهم)

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (و مَعَ هَذَا هُوَ الْعَادِلُ فِيهِمْ، الَّذِي لَا يَجُورُ) ﴿٤٥﴾

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ (أمام المطر )

مُبَشِّرَاتٍ (بإثارتها للسحاب ثم جمعها فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله)

وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ (فينزل عليكم من رحمته مطرا:-)

تحيا به البلاد و العباد،

و تذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمته هي:-

المنقذة للعباد و الجالبة لأرزاقهم،

فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة الفاتحة لخزائن الرحمة)

وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ (في البحر) **بِأَمْرِهِ** (القدري)

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ (بالتصرف في معاشكم و مصالحكم)

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (من سخر لكم الأسباب و سير لكم الأمور) ﴿٤٦﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ (في الأمم السابقين) **رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ** (حين جحدوا توحيد الله و كذبوا بالحق)

فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ

(أوجبنا ذلك على أنفسنا و جعلناه من جملة الحقوق المتعينة و وعدناهم به فلا بد من وقوعه) ﴿٤٧﴾

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ (يمده و يوسععه) **كَيْفَ يَشَاءُ**

وَيَجْعَلُهُ (ذلك السحاب الواسع) **كَيْفًا** (سحابا ثخينا قد طبق بعضه فوق بعض-قطعا-متراكما)

فَتَرَى الْوَدَقَ (السحاب نقطا صغارا متفرقة، لا تنزل جميعا فتفسد ما أنت عليه)

يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ **فَإِذَا أَصَابَ بِهِ** (بذلك المطر) **مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**

إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (يبشر بعضهم بعضا بنزوله و ذلك لشدة حاجتهم و ضرورتهم إليه) ﴿٤٨﴾

وَلِإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ (ذلك الانزال) أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (آيسين قانطين لتأخر وقت مجيئه) ﴿٤٩﴾

فَأَنْظِرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ (الْمَطَرِ)

كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا<sup>٤</sup> (فاهتزت و ربت و أنبتت من كل زوج كريم)

إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ<sup>٥</sup> (الذي أحيا الأرض بعد موتها) وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(فقدرته تعالى لا يتعاصى عليها شيء و إن تعاصى على قدر خلقه و دق عن أفهامهم و حارت فيه

عقولهم) ﴿٥٠﴾

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ

إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

❖ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ

وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ شَايَةً لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

(وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا) مضرّة متلفّة أو منقصة، (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) قد تداعى إلى التلف

(لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ 51)

فينسون النعم الماضية و يبادرون إلى الكفر. و هؤلاء لا ينفع فيهم وعظ و لا زجر

(فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ) و بالأولى (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)

فإن الموانع قد توفرت فيهم عن الانقياد و السماع النافع كتوفر هذه الموانع المذكورة عن سماع الصوت

الحسي 52

(وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ)

لأنهم لا يقبلون الإبصار بسبب عماهم فليس منهم قابلية له.

(إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ)

(فهؤلاء الذين ينفع فيهم إسماع الهدى المؤمنون بآياتنا بقلوبهم المنقادون لأوامرنا المسلمون لنا 53)

❖ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً

ابتدأ خلق آدميين من ضعف و هو الأطوار الأول مــــن :-

خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيوانا في الأرحام إلى أن ولد، وهو في سن الطفولية:-  
و هو إذ ذاك في غاية الضعف و عدم القوة و القدرة. -ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئا فشيئا  
حتى بلغ سن الشباب :-و استوت قوته و كملت قواه الظاهرة و الباطنة،

○ ثم انتقل من هذا الطور و رجع إلى الضعف و الشبهة و الهرم.

(يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) بحسب حكمته (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) (٥٤)

(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يخبر تعالى عن يوم القيامة و سرعة مجيئه و أنه إذا قامت الساعة

(يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ) بالله أنهم (مَا لَبِثُوا) في الدنيا (غَيْرَ سَاعَةٍ) <sup>٤</sup>

و ذلك اعتذار منهم لعله ينفعهم العذر و استقصار لمدة الدنيا.

(كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) (کما کانوا یکذبون فی الدنیا) 55

( وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ )

مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِم بِهِمَا وَ صَارَا وَصفا لهم العلم بالحق و الإيمان المستلزم إيثار الحق،

(لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ)

أي: في قضاائه و قدره، الذي كتبه الله عليكم و في حكمه\*أو في كتاب الاعمال

(إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ<sup>ط</sup>)

عمرتم عُمْرًا يتذكر فيه المتذكر و يتدبر فيه المتدبر و يعتبر فيه المعتبر حتى صار البعث

(فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

**فلذلك أنكرموه في الدنيا و أنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتنا تتمكنون فيه من الإنابة و التوبة<sup>56</sup>**

(فَيَوْمِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ) \* لَا يَنْفَعُهُمْ اَعْتِذَارُهُمْ عَمَّا فَعَلُوا

(وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) يزال عتبهم و العتاب عنهم- وَلَا هُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا 57

(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) لأجل عنايتنا و رحمتنا و لطفنا و حسن تعلیمنا

(لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) تتضح به الحقائق و تعرف به الأمور و تنقطع به الحجة

(وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ) تدل على صحة ما جئت به

(يَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَطِلُونَ) قالوا للحق: إنه باطل 58

(كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

فلا يدخلها خير و لا تدرك الأشياء على حقيقتها بل ترى الحق باطلا و الباطل حقا **59**

( **فَاصْبِرْ** ) على ما أمرت به و على دعوتهم إلى الله، و لو رأيت منهم إعراضا فلا يصدنك ذلك.

( **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** ) لا شك فيه و هذا مما يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملا هان عليه ما يلقاه من المكاره و يسر عليه كل عسير و استقل من عمله كل كثير.

( **وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** )

\* بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مزية فيه،

و لا تعدل عنه و ليس فيما سواه هدى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه **60**

## 31- سورة لقمان بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْفٌ يَشْرِي عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴿٩﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَقَالَ فِي الْأَرْضِ رَوِّسِي أَن نَعْمِدَ بِكُم مِّنْ هَٰذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرَوْنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِّنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

(الْم) 1 (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) آياته محكمة صدرت من حكيم خبير.

- من إحكامها: 1- أنها جاءت بأجل الألفاظ و أفصحها، و أبينها (((الدالة على أجل المعاني و أحسنها)))  
 2- أنها محفوظة من التغيير و التبديل، و الزيادة و النقص، و التحريف.  
 3- أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة و اللاحقة، و الأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع  
 4- أنها ما أمرت بشيء، إلا و هو خالص المصلحة، أو راجحها، و لا نهت عن شيء، إلا و هو خالص المفسدة أو راجحها و كثيرا ما يجمع بين الأمر بالشيء، مع ذكر حكمته فائدته، و النهي عن الشيء، مع ذكر مضرته.  
 5- أنها جمعت بين الترغيب و التهيب، و الوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة و تحتكم، فتعمل بالحزم.  
 6- أنك تجد آياته المتكررة، كالقصص، و الأحكام و نحوها، قد اتفقت كلها و تواطأت، فليس فيها تناقض 2

(هُدًى) لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، و يحذرهم من طرق الجحيم،

(وَرَحْمَةً) لهم تحصل به السعادة في الدنيا و الآخرة، و الخير و الثواب و الفرح و يندفع عنهم الضلال

لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ثم وصف المحسنين بالعلم التام:-

و هو اليقين الموجب للعمل و الخوف من عقاب الله، فيتركون معاصيه، و وصفهم بالعمل،

و خص من العمل، عمليين فاضلين:- ○ الصلاة المشتملة على:-

- 1- الإخلاص 2- و مناجاة الله تعالى 3- و التعبد العام للقلب و اللسان و الجوارح المعينة، على سائر الأعمال



○ والزكاة التي: -1- تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، 2- وتنفع أخاه المسلم، و تسد حاجته،

و يبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرجه محبوبه من المال، لما هو أحب إليه و هو رضا الله

4- (أُولَئِكَ) هم المحسنون الجامعون بين العلم التام، و العمل

(عَلَى هُدًى) عظيم كما يفيد التذكير، و ذلك الهدى حاصل لهم، و واصل إليهم

(مَنْ رَبِّهِمْ) الذي لم يزل يرببهم بالنعم؛ و يدفع عنهم النقم. و هذا الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه، و هو أفضل أنواع التربية

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الذين أدركوا رضا ربهم، و ثوابه الدنيوي و الآخروي، و سلموا من سخطه و عقابه،

و ذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها 5

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ) هو محروم مخذول (يَشْتَرِي) يختار و يرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء.

(لَهُوَ الْحَدِيثُ) الأحاديث الملهية للقلوب، الصادرة لها عن أجل مطلوب-نزلت في الْغِنَاءِ وَ الْمَزَامِيرِ.

فدخل في هذا :-

1- كل كلام محرم، و كل لغو، و باطل، و هذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، و الفسوق، و العصيان،

2- و من أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، و من غيبة، و نسيمة، و كذب، و شتم، و سب، و من غناء و مزامير شيطان،

3- و من الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين و لا دنيا. فهذا الصنف من الناس، يشتري لهو الحديث، عن هدي الحديث

(يُضِلُّ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) بعدما ضل بفعله، أضل غيره، لأن الإضلال، ناشئ عن الضلال.

و إضلاله في هذا الحديث؛ صده عن الحديث النافع، و العمل النافع، و الحق المبين، و الصراط المستقيم.

(وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا) ا يتم له هذا، حتى يقدح في الهدى و الحق و يتخذ آيات الله هزوا و يسخر بها، و بمن جاء بها،

○ فإذا جمع بين مدح الباطل و الترغيب فيه، و القدح في الحق، و الاستهزاء به و بأهله، أضل من لا علم

عنده و خدعه بما يوحيه إليه، من القول الذي لا يميزه ذلك الضال، و لا يعرف حقيقته.

(أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) بما ضلوا و أضلوا- كَمَا اسْتَهَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ سَبِيلِهِ، أَهْنُونَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَذَابِ

الدائم المستمر 6 لهذا قال ( وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا ) ليؤمن بها و ينقاد لها،

(وَلَا مُسْتَكْبِرًا) أدبر إدبار مستكبر عنها، رادّ لها، و لم تدخل قلبه و لا أثرت فيه، بل أدبر عنها

(كَانَ) بل (لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا<sup>ط</sup>) صمما لا تصل إليه الأصوات؛ فهذا لا حيلة في هدايته.  
 \*\*\*هَذَا الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالطَّرَبِ، إِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ:-  
 1- وَلَىٰ عَنْهَا وَأَعْرَضَ وَادْبَرَ 2- وَتَصَامَمَ وَمَا بِهِ مِنْ صَمَمٍ، كَأَنَّهُ مَا يَسْمَعُهَا لِأَنَّهُ يَتَأَدَّى بِسَمَاعِهَا  
 (فَبَشِّرْهُ) بشارة تؤثر في قلبه:- الحزن و الغم و في بشرته:- السوء و الظلمة و الغبرة.

(بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْلِمُ، كَمَا تَأَلَّمَ بِسَمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ).

○ مؤلم لقلبه؛ و لبدنه؛ لا يقادر قدره؛ و لا يدرى بعظيم أمره، و هذه بشارة أهل الشر، فلا نِعَمَتِ البشارة 7

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) جمعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، و الظاهر بالإسلام، و العمل الصالح.

(لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) بشارة لهم بما قدموه، و قرى لهم بما أسلفوه 8 (خَالِدِينَ فِيهَا<sup>ط</sup>)

في جنات النعيم، نعيم القلب و الروح، و البدن (وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) لا يمكن أن يخلف، و لا يغير، و لا يتبدل.

(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) كامل العزة، كامل الحكمة 9 من عزته و حكمته:- وفق من وفق، و خذل من خذل، بحسب ما اقتضاه علمه فيهم و حكمته. يتلو تعالى على عباده، آثارا من آثار قدرته، و بدائع من بدائع حكمته،

و نعمنا من آثار رحمته فقال:- (خَلَقَ السَّمَوَاتِ) السبع على عظمها، و سعتها، و كثافتها، و ارتفاعها الهائل.

(بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُونَهَا<sup>ط</sup>) ليس لها عمد، و لو كان لها عمد لرئيت و إنما استقرت و استمسكت، بقدرة الله تعالى.

(وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) أي: جبالا عظيمة، ركزها في أرجائها و أنحائها،

(أَن لَّهَا تَعِمِدَ) تضطرب (بِكُمْ) فلولا الجبال الراسيات لمادت الأرض، و لما استقرت بساكنيها.

(وَبِثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ<sup>ط</sup>) نشر في الأرض الواسعة، من جميع أصناف الدواب، التي هي مسخرة لبني آدم، و لمصالحهم، و منافعهم.

(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مباركا (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) المنظر، نافع مبارك 10

(هَذَا) خلق العالم العلوي و السفلي، من جماد، و حيوان، و سَوَقِ أرزاق الخلق إليهم

(خَلَقَ اللَّهُ) وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

(فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم و تعبدونهم، يلزم على هذا:-

أن يكون لهم خلق كخلقه، و رزق كرزقه

(بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) جَلِي واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة

و لا نشورا، و تركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور 11

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ مَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ  
 (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)  
 وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ  
 إِلَىٰ الْمَصِيرِ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا صَاحِبُهُمَا فِي  
 الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثَمَرٍ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)  
 يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ  
 إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ  
 إِنَّ ذَٰلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ  
 (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِّنْ صَوْتِكَ إِن أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ)

\*كَانَ لُقْمَانُ مِنْ سُودَانٍ مِصْرَ ذَا مَشَافِرَ ( ) أَعْطَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَ مَنَعَهُ النُّبُوَّةَ.

○ يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة:-

و هي العلم بالحق على وجهه و حكمته فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار و الإحكام،

و أما الحكمة:- فهي مستلزمة للعلم، بل و للعمل، و لهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، و العمل الصالح.

(وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم،

(وَمَن كَفَرَ) فلم يشكر الله، عاد و بال ذلك عليه.

(فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) و الله غني عنه (حَمِيدٌ) فيما يقدره و يقضيه، على من خالف أمره 12

( وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ):- أو قال له قولاً به يعظه بالأمر، و النهي، المقرون

بالتريغيب و الترهيب، فأمره بالإخلاص، و نهاه عن الشرك، و بين له السبب في ذلك فقال:-

(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) كونه عظيماً أنه لا أظفع و أبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب

\*\*\*صحيح البخاري 32 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82]

قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلَمْ؟ **فَأَنْزَلَ** اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13] **13**

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ) عهدنا إليه، و جعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، و هل حفظها أم لا؟

\*لاحظ أخى الفاضل تحول في الخطاب بعد ذلك:

قال (ووصينا) فلقمان يخاطب ولده و يعظه و لما جاء الأمر ببر الوالدين لا يليق بالوالد أن يقول لولده:-

برنى و اعطف علىّ و تحنن علىّ و استوص بي فالوالد أجل من أن يطلب هذا الطلب و أرفع ( )

(بِوَلَدَيْهِ) و قلنا له: (إِنْ أَشْكُرْ لِي) بالقيام بعبوديتي، و أداء حقوقي، و أن لا تستعين بنعمي على معصيتي.

(وَلِوَلَدَيْكَ) بالإحسان إليهما —:—

1- القول اللين، و الكلام اللطيف، 2- و الفعل الجميل، 3- و التواضع لهما، و إكramهما و إجلالهما،

4- و القيام بمئونتتهما 5- واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، **بـالقول** و **الفعل**. فوصينا بهذه الوصية،

و أخبرناه أن (إِلَى الْمَصِيرِ) أي: سترجع أيها الإنسان إلى من وصاك، و كلفك بهذه الحقوق،

فيسألك: هل قمت بها، فيشيك الثواب الجزيل؟ أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الويل؟ **14**

ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم

فقال: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق، من حين يكون نطفة، من اللحم،

و المرض، و الضعف، و الثقل، و تغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

(وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ) و فطامه عن الرضاعة في مدة عامين- و هو ملازم لحضانة أمه و كفالتها و رضاعها،

أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب أن يؤكد على ولده، و يوصي إليه بتمام

الإحسان إليه؟

وَمِنْ هَاهُنَا اسْتَنْبَطَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ غَيْرُهُ مِنَ الْأُمَّةِ أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ

الْأُخْرَى: {وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف: 15] .

(وَلِنْ جَاهِدَاكَ) اجتهد والداك (عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)

و لا تظن أن هذا داخل في الإحسان إليهما، لأن حق الله، مقدم على حق كل أحد،

و « لا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق »

و لم يقل: « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما »

بل قال: (فَلَا تَطْعَمُهُمَا) بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه و لهذا قال: (وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف، و أما اتباعهما وهما بحالة الكفر و المعاصي، فلا تتبعهما.

(وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) و هم المؤمنون بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، المستسلمون لربهم، المنيون إليه. و اتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي الله، ويقرب منه. (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) الطائع و العاصي، و المنيب، و غيره

(فَأَنبِئْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فلا يخفى على الله من أعمالهم خافية 15

(يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) التي هي أصغر الأشياء و أحقرها-  
إِنَّ الْمَظْلَمَةَ أَوْ الْخَطِيئَةَ لَوْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.

(فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ) في وسطها (أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ) في أي جهة من جهاتهما

(يَأْتِيَهَا اللَّهُ) لسعة علمه، و تمام خبرته و كمال قدرته- أَحْضَرَهَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ، وَ جَازَى عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

و لهذا قال: (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) العَلَمِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ دَقَّتْ وَلَطَفَتْ وَتَضَاءَلَتْ

(خَيْرٌ) (بِدَبِيبِ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ- لطف في علمه و خبرته حتى اطلع على البواطن و الأسرار و الخفايا 16

○ المقصود من هذا، الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، و الترهيب من عمل القبيح، قل أو كثر. <sup>\*\*\*</sup>و أَنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ فِي حَقَارَتِهَا لَوْ كَانَتْ دَاخِلَ صَخْرَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَبْدِيهَا وَيُظْهِرُهَا بِلَطِيفِ عِلْمِهِ،

(يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ) حثه عليها، و خصها لأنها أكبر العبادات البدنية- بِحُدُودِهَا وَ فُرُوضِهَا وَ أَوْقَاتِهَا،

(وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) بِحَسَبِ طَاقَتِكَ وَجْهَدِكَ- و ذلك يستلزم:-

1- العلم بالمعروف ليأمر به، 2- العلم بالمنكر لينهى عنه.

و الأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر إلا به من:- الرفق، والصبر،

وقد صرح به في قوله:- (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) عِلْمٌ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مِنَ النَّاسِ أَدَى، فَأَمْرُهُ بِالصَّبْرِ- و من كونه فاعلا لما يأمر به، كافاً لما ينهى عنه،

فتضمن هذا:-

1-تكميل نفسه بـ **فعل الخير** و **ترك الشر** 2-و تكميل غيره بذلك، بـ **أمره** و **نهيـه**.

و لما علم أنه لا بد أن يتلى إذا أمر و نهى و أن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال:- (**وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ**)<sup>ط</sup> الذي وعظ به لقمان ابنه

(**مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) من الأمور التي يعزم عليها، و يهتم بها، و لا يوفق لها إلا أهل العزائم 17

(**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**) لا تُمْلَهُ وتعبس بوجهك الناس، تكبراً عليهم، و تعاظما.

(**وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**)<sup>ط</sup> بطرا، فخرا بالنعمة، ناسيا المنعم، معجبا بنفسك.

(**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ**) في نفسه و هيئته و تعاظمه (**فَخُورٍ**) بقوله-أي على غيره 18

(**وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**) امش متواضعا مستكينا لا مشي البطر والتكبر، و لا مشي التماوت.

(**وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ**) أدباً مع الناس و مع الله-لا تبألغ في الكلام، و لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه؛

و لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ**) أي أفظعها و أبشعها (**لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) 19



أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ  
 وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا  
 مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾  
 وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾  
 وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾  
 نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ  
 مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾  
 مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

يتمن تعالى على عباده بنعمه، و يدعوهم إلى شكرها و رؤيتها؛ و عدم الغفلة عنها فقال:-

(أَلَمْ تَرَوْا) أي: تشاهدوا و تبصروا بأبصاركم و قلوبكم،

(أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ) من الشمس و القمر و النجوم، كلها مسخرات لنفع العباد.

(وَمَا فِي الْأَرْضِ) من الحيوانات و الأشجار و الزروع، و الأنهار و المعادن و نحوها

(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ) غمركم و غمرهم (نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ) الظاهرة و الباطنة التي نعلم بها و التي تخفى علينا،

نعم الدنيا، و نعم الدين، حصول المنافع، و دفع المضار،

فوظيفتك م:-

1- أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم و الخضوع له 2- و صرفها في الاستعانة على طاعته،

3- و أن لا يستعان بشيء منها على معصيته.

(و) لكن مع توالي هذه النعم (وَمِنَ النَّاسِ مَن) لم يشكرها بل كفرها أو كفر بمن أنعم بها؛ و جحد الحق

الذي أنزل به كتبه؛ و أرسل به رسله،

فجعل (يُجَادِلُ فِي اللَّهِ) يجادل عن الباطل؛ ليدحض به الحق و يدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة الله وحده، وهذا المجادل على غير بصيرة، فليس جداله عن علم، فيترك و شأنه، و يسمح له في الكلام

(وَلَا هُدًى) يقتدي به بالمهتدين (وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ) مضى - جداله في الله مبني على تقليد آباء غير مهتدين 20

و لهذا قال:- (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) على أيدي رسله، فإنه الحق، و بينت لهم أدلته الظاهرة (قَالُوا) معارضين ذلك:- (بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقول أحد كائنا من كان.

{أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} 21

(وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أي: يخضع له و ينقاد له بفعل الشرائع مخلصا له دينه.

(وَهُوَ مُحْسِنٌ) 1- في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعا، قد اتبع فيه الرسول ﷺ.

2- أو: و من يسلم وجهه إلى الله، بفعل جميع العبادات، و هو محسن فيها،

بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يراه.

3- أو و من يسلم وجهه إلى الله، بالقيام بحقوقه، و هو محسن إلى عباد الله، قائم بحقوقهم.

○ و المعاني متلازمة، لا فرق بينها إلا من جهة اختلاف مورد اللفظتين،

و إلا فكلها متفقة على القيام بجميع شرائع الدين على وجه تقبل به و تكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم

(فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) التي من تمسك بها، توثق و نجا، و سلم من الهلاك، و فاز بكل خير.

(وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) رجوعها و موئلاها و منتهاها، فيحكم في عبادته، و يجازيهم بما آلت إليه أعمالهم 22

(وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ) لأنك أديت ما عليك، من الدعوة و البلاغ،

فإن (إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا) من كفرهم و عداوتهم، و سعيهم في إطفاء نور الله و أذى رسله.

(إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر، و كان شهادة ؟ 23

(نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا) في الدنيا، ليزداد إثمهم، و يتوفر عذابهم،

(ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) لنجئهم (إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ) انتهى في عظمه و كبره، و فظاعته، و ألمه، و شدته 24

(وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ) و لئن سألت هؤلاء المشركين المكذبين بالحق

(مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) لعلموا أن أصنامهم، ما خلقت شيئا من ذلك و لبادروا بقولهم الله الذي خلقهما

وحده (لَيَقُولَنَّ اللَّهُ) ف— (قُلْ) لهم ملزما لهم، و محتجا عليهم بما أقروا به، على ما أنكروا:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) الذي بيّن النور، وأظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم فلو كانوا يعلمون، لجزموا أن المنفرد بالخلق والتدبير، هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد.

(بَلْ) و لكن (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

فلذلك أشركوا به غيره، و رضوا بتناقض ما ذهبوا إليه، على وجه الحيرة و الشك، لا على وجه البصيرة 25

(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ثم ذكر في هاتين الآيتين نموذجا من سعة أوصافه،

ليدعو عباده إلى معرفته، و محبته، و إخلاص الدين له. فذكر عموم ملكه،

و أن جميع ما في السماوات و الأرض - وهذا شامل لجميع العالم العلوي و السفلي - أنه ملكه،

يتصرف فيهم بـ: 1- أحكام الملك القدريّة 2- و أحكامه الأمرية 3- و أحكامه الجزائية،

فكلهم عبيد ممالك، مدبرون مسخرون، ليس لهم من الملك شيء،

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) و أنه واسع الغنى، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أحد من الخلق (الْحَمِيدُ) 26

ثم أخبر عن سعة كلامه و عظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، و تنبهر له العقول، و تحير فيه

الأفئدة و تسيح في معرفته أولو الأبواب و البصائر فقال: - (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ) يكتب بها

(وَالْبَحْرِ يُمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) مدادا يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام و لفني ذلك المداد

(مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) له العزة جميعا، الذي ما في العالم العلوي و السفلي من القوة

إلا منه، أعطاهما للخلق، و بعزته: - قهر الخلق كلهم، و تصرف فيهم، و دبرهم،

و بحكمته: - خلق الخلق، و ابتدأه بالحكمة، و جعل غايته و المقصود منه الحكمة،

و كذلك الأمر و النهي وجد بالحكمة، و كانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه و أمره. 27

(مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) و هذا شيء يحير العقول، إن خلق جميع الخلق - على كثرتهم

و بعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لمحة واحدة - كخلقه نفسا واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث و النشور،

و الجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة الله و قوة قدرته.

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لَأَقُولِهِمْ (بَصِيرٌ) بِأَفْعَالِهِمْ كَسَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ كَذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِمْ

كَقُدْرَتِهِ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ 28

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) انفراده بالتصرف و التدبير، و سعة تصرفه بـ: -  
إيلاج الليل في النهار، و إيلاج النهار في الليل، إدخال أحدهما على الآخر، فإذا دخل أحدهما، ذهب الآخر.  
(وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يجريان بتدبير و نظام، لم يختل منذ خلقهما،  
ليقيم بذلك من مصالح العباد و منافعهم، في دينهم و دنياهم، ما به يعتبرون و ينتفعون.  
(كُلٌّ) منهما (يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، و تعطل سلطانهما،  
و ذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، و يخسف القمر، و تنتهي دار الدنيا، و تبدئ الدار الآخرة.  
(وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ) من خير و شر (خَبِيرٌ) لا يخفى عليه شيء من ذلك، و سيجازيكم على تلك الأعمال 29  
(ذَلِكَ) الذي بين لكم من عظمته و صفاته ما بين (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) في ذاته و في صفاته، و دينه حق،  
و رسله حق، و وعده حق، و وعيده حق، و عبادته هي الحق.  
(وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ) في ذاته و صفاته، فلولا إيجاد الله له لما وجد و لولا إمداده لما بقي،  
فإذا كان باطلا كانت عبادته أبطال و أبطال.  
(وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ) بذاته، فوق جميع مخلوقاته الذي علت صفاته، أن يقاس بها صفات أحد من الخلق،  
و علا على الخلق فقهرهم

(الْكَبِيرُ) الذي له الكبرياء في ذاته و صفاته، و له الكبرياء في قلوب أهل السماء و الأرض. 30

(الْمَرْتَر) من آثار قدرته و رحمته، و عنايته بعباده (أَنَّ الْفَلَكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ): -

سخر البحر، تجري فيه الفلك بأمره القدري و لطفه و إحسانه

(لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ) ففيها الانتفاع و الاعتبار (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ)

على الضراء، صبار على طاعة الله و عن معصيته، و على أقداره،

(شُكُورٍ) على السراء، شكور لله، على نعمه الدينية و الدنيوية 31

(وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظَّلِيلِ) كَالْجِبَالِ وَ الْعَمَامِ (دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) الدعاء

○ و ذكر تعالى حال الناس، عند ركوبهم البحر، و غشيان الأمواج كالظل فوقهم، أنهم يخلصون الدعاء لله

و العبادة:- (فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ) انقسموا فريقين:-

1- (فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم.

فَالْمُقْتَصِدُ هَاهُنَا هُوَ:- الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ

○ ثُمَّ بَعْدَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَاصِ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ ذَلِكَ بِ:- الْعَمَلِ التَّامِّ، وَ الدَّوُوبِ فِي الْعِبَادَةِ، وَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ. فَمَنْ اقْتَصَدَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ مُقْصِرًا وَ الْحَالَةُ هَذِهِ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

2- و فرقة كافرة بنعمة الله، جاحدة لها، و لهذا قال:-

(وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ) غدار، و من غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر و شدته:-

لنكونن من الشاكرين، فغدر و لم يف بذلك

(كُفُورٍ) بنعم الله. فهل يليق بمن نجاهم الله من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم الله؟ 32

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ أَخْشَوْا يَوْمًا) يأمر تعالى الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره، و ترك زواجه،

و يستلقتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد الذي فيه كل أحد لا يهمله إلا نفسه

ف\_\_\_\_\_ (لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا) لَوْ أَرَادَ أَنْ يَفْدِيَهُ بِنَفْسِهِ لَمَا قُبِلَ مِنْهُ.

وَ كَذَلِكَ الْوَلَدُ لَوْ أَرَادَ فِدَاءَ وَالِدِهِ بِنَفْسِهِ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ- لا يزيد في حسناته و لا ينقص من سيئاته،

قد تم على كل عبد عمله، و تحقق عليه جزاؤه. فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهيل،

مما يقوي العبد و يسهل عليه تقوى الله، و هذا من رحمة الله بالعباد، يأمرهم بتقواه التي فيها سعادتهم،

و يعدهم عليها الثواب، و يحذرهم من العقاب، و يزعجهم إليه بالمواعظ و المخوفات، فلك الحمد يا رب العالمين.

(إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) فلا تمتروا فيه، و لا تعملوا عمل غير المصدق،

فلهذا قال: (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بزينتها و زخارفها و ما فيها من الفتن و المحن.

(وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) الذي هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان و لا يغفل عنه في جميع الأوقات

○ و من أعظم العوائق عنه و القواطع دونه:-

1- الدنيا الفتانة 2- و الشيطان الموسوس المُسَوِّل

فهي تعالى عباده، أن تغرهم الدنيا، أو يغرهم بالله الغرور 33

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أي: يعلم متى مرساها (وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ) هو المنفرد بإنزاله، و علم وقت نزوله

(وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) فهو الذي أنشأ ما فيها، و علم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى،

و لهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء.

\*\*\* فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا فِي الْأَرْحَامِ، أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَحْمَرٌ أَوْ أَسْوَدٌ، وَ مَا هُوَ

(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا) من كسب دينها و دنياها- أَخَيْرٌ أَمْ شَرٌّ،

(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَدْرِي أَيْنَ مَضَجُّهُ مِنَ الْأَرْضِ، أَيْ بَحْرٍ أَمْ بَرٍّ،

أَوْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ؟ بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه.

\*\*\* صحيح البخاري 7379 - عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: 1- لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ 2- وَ لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ

3- وَ لَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ 4- وَ لَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ

5- وَ لَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ

- و لما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

محيط بالظواهر و البواطن، و الخفايا و الخبايا، و السرائر

- و من حكمته التامة:-

أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك. 34



## 32- سورة السجدة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ مَبْدَأَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١١﴾ قُلْ يَتُوفَّئِكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾

(الْم) هذا الكتاب الكريم 1 (لَا رَيْبَ) لا شك (فِيهِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

الذي رباهم بنعمته- و من أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، و يتم أخلاقهم 2

(أَمْ يَقُولُونَ) و مع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك:- (افْتَرَيْنَاهُ) اختلقه من عند نفسه،

و هذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام الله، و رُمي محمد ﷺ بأعظم الكذب و قدرة الخلق على كلام مثل كلام

الخالق. و كل واحد من هذه من الأمور العظائم قال الله - رادًا على من قال: افتراه:-

(بَلْ هُوَ الْحَقُّ) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

(مِنْ رَبِّكَ) أنزله رحمة للعباد (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) في حالة ضرورة و فاقة لإرسال الرسول،

و إنزال الكتاب، لعدم النذير، بل هم في جهلهم يعمهون، و في ظلمة ضلالهم يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك

(لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه 3

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ) يخبر تعالى عن كمال قدرته بخلق (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)

أولها، يوم الأحد، و آخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة، و لكنه تعالى رفيق حكيم.

(ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) الذي هو سقف المخلوقات، استواء يليق بجلاله



(مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) يتولاكم، في أموركم، فينفعكم

(وَلَا شَافِعٌ) يشفع لكم، إن توجه عليكم العقاب.

(أَفَلَا نَتَذَكَّرُونَ) فتعلمون أن خالق الأرض و السماوات، المستوي على العرش العظيم، الذي انفرد بتدبيركم،

و توليكم، و له الشفاعة كلها، هو المستحق لجميع أنواع العبادة 4

(يُذَبِّرُ الْأَمْرَ) القدري و الأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير

(مَنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) فَيُسْعِدُ بِهَا وَ يُشْقِي، وَ يُغْنِي وَ يُفْقِرُ، وَ يُعِزُّ وَ يُذِلُّ، وَ يُكْرِمُ، وَ يُهِينُ،

و يرفع أقوامًا، و يضع آخرين، و ينزل الأرزاق.

(ثُمَّ يَعْرُجُ) يصعد الأمر ينزل من عنده (إِلَيْهِ)

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) و هو يعرج إليه، و يصله في لحظة 5

(ذَلِكَ) الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة، الذي استوى على العرش العظيم، و انفرد بالتدبير في المملكة

(عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ) الَّذِي قَدْ عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ فَقَهَرَهُ وَ غَلَبَهُ، وَ دَانَتْ لَهُ الْعِبَادُ وَ الرَّقَابُ

(الرَّحِيمُ) بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. فَهُوَ عَزِيزٌ فِي رَحْمَتِهِ، رَحِيمٌ فِي عِزَّتِهِ وَ هَذَا هُوَ الْكَمَالُ: -

الْعِزَّةُ مَعَ الرَّحْمَةِ، وَ الرَّحْمَةُ مَعَ الْعِزَّةِ، فَهُوَ رَحِيمٌ بِلَا ذُلٍّ 6

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)

كل مخلوق خلقه الله، فإن الله أحسن خلقه، و خلقه خلقًا يليق به، و يوافقه، فهذا عام.

ثم خص الآدمي لشرفه و فضله فقال:- (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) و ذلك بخلق آدم ﷺ 7

(ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ) ذرية آدم ناشئة (مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ)

و هو النطفة المستقدرة الضعيفة-يَتَنَاسَلُونَ كَذَلِكَ مِنْ نُطْفَةٍ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَ تَرَائِبِ الْمَرْأَةِ 8

(ثُمَّ سَوَّاهُ)

بلحمه، و أعضائه، و أعصابه، و عروقه، و أحسن خلقته و وضع كل عضو منه، بالمحل الذي لا يليق به غيره

(وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) بأن أرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن الله، حيوانًا، بعد أن كان جمادًا.

(وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ) ما زال يعطيكم من المنافع شيئًا فشيئًا، حتى أعطاكم السمع و الأبصار

(وَالْأَفْئِدَةَ) العقول (فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ) الذي خلقكم و صوركم 9

(وَقَالُوا) قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد:-

(أَوَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) بَلِينَا و تَمَزَقْنَا، و تَفَرَّقْنَا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَا تُعْلَمُ

(أَوَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) لمبعوثون بعثًا جديدًا بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء،

و ذلك لقياسهم قدرة الخالق، بقدرهم. و كلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم، و عناد، و كفر بلقاء ربهم وجحد،

و لهذا قال:- (بَلْ هُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ كَغَفُورٍ) فكلامهم علم مصدره و غايته، و إلا فلو كان قصدهم بيان الحق،

لَبَيَّنَ لَهُمْ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَى ذَلِكَ، مَا يَجْعَلُهُ مُشَاهِدًا لِلْبَصِيرَةِ، بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ لِلْبَصَرِ.

○ و يكفيهم، أنهم معهم علم أنهم قد ابتدئوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء،

و كذلك الأرض الميتة، ينزل الله عليها المطر، فتحيا بعد موتها، و ينبت به متفرق بذورها **10**

(قُلْ يَتُوبُ إِلَهُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) جعله الله وكيلا على قبض الأرواح، و له أعوان

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) فيجازيكم بأعمالكم، و قد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل الله بكم **11**

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا  
 إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ  
 وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ  
 بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ  
 وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا  
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾  
 أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ  
 كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة، ذكر حالهم في مقامهم بين يديه فقال: **(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ)** الذين أصروا على الذنوب العظيمة **(نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ)** خاشعين خاضعين أذلاء، مقرين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: **-(رَبَّنَا أَبْصَرْنَا)** قبائحنا **(وَسَمِعْنَا)** منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا أي: بان لنا الأمر، و رأيناه عياناً، فصار عين يقين.

**(فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا)** فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك،

**(إِنَّا مُوقِنُونَ)** (إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، و أنك تبعث من في القبور.

و لو رأيت -أيها الخاطب- ذلك كله، لرأيت أمراً عظيماً، و خطباً جسيماً **12**

**(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى)** لهدينا الناس كلهم، و جمعناهم على الهدى، فمشيئتنا صالحة لذلك، و لكن الحكمة، تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى

و لهذا قال: **(وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي)** (وجب و ثبت ثبوتاً لا تغير فيه.

**(لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)**

فهذا الوعد، لا بد منه، و لا محيد عنه، فلا بد من تقرير أسبابه من الكفر و المعاصي **13**

(**فَذُوقُوا**) يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، و سألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع و لم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم،

(**بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**) و هذا النسيان نسيان ترك، أي:- بما أعرضتم عنه، و تركتم العمل له، و كأنكم غير قادمين عليه، و لا ملاقيه- يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْرِيعِ وَ التَّوْبِيخِ:- ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِكُمْ بِهِ، وَ اسْتِيعَادِكُمْ وَقُوعَهُ، وَ تَنَاسِيَكُمْ لَهُ؛ إِذْ عَامَلْتُمُوهُ مُعَامَلَةً مِّنْ هُوَ نَاسٍ لَهُ

(**إِنَّا نَسِيتَكُمْ**) تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نسيتم نسيتم -**إِنَّا سَنُعَامِلُكُم مَّعَامَلَةَ النَّاسِي؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْسَى شَيْئًا وَ لَا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ، بَلْ مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ)** العذاب غير المنقطع

(**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) بسبب كفركم و تكذيبكم- من الكفر و الفسوق و المعاصي. **14** لما ذكر تعالى الكافرين بآياته، و ما أعد لهم من العذاب، ذكر المؤمنين بها، و وصفهم، و ما أعد لهم من الثواب، فقال:- (**إِنَّمَا يُؤْمِنُ**) يصدق (**بِعَايَتِنَا**) أي إيماناً حقيقياً، من يوجد منه شواهد الإيمان، و هم: (**الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا**) بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، و أتهم النصائح على أيدي رسل الله، و دُعُوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، و انقادوا و (**خَرُّوا سُجَّدًا**) خاضعين لها، خضوع ذكر لله، و فرح بمعرفته.

(**وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**)

لا بقلوبهم، و لا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، و التسليم، و قبلوها بالانشراح و التسليم، و توصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم و اهتمدوا بها إلى الصراط المستقيم. **15**

(**نَتَجَافَى**) ترتفع و تنزعج (**جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**)

عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألد عندهم منه و أحب إليهم، و هو [الصلاة في الليل، و مناجاة الله تعالى] و لهذا قال: (**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**) في جلب مصالحهم الدنيوية و الدنيوية، و دفع مضارهما.

(**خَوْفًا وَ طَمَعًا**) جامعين بين الوصفين، (**خَوْفًا**) أن ترد أعمالهم، خوفًا من عذاب الله

(**وَ طَمَعًا**) في قبول الاعمال و طمعًا في ثوابه.

(**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**) من الرزق، قليلا كان أو كثيرا (**يُنْفِقُونَ**)

و لم يذكر قيد النفقة، و لا المنفق عليه، ليدل على العموم،

فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة: -كالزكوات، و الكفارات، و نفقة الزوجات و الأقارب،

و النفقة المستحبة في وجوه الخير، و النفقة و الإحسان المالي، خير مطلقاً، سواء وافق غنياً أو فقيراً،

قريباً أو بعيداً، و لكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم. 16

○ و أما جزاؤهم فقال: ( **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ** ) يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي.

أي: فلا يعلم أحد ( **مَّا أَخْفَى لَهُمْ** ) من الخير الكثير، و النعيم الغزير، و الفرح و السرور، و اللذة و الحبور،

( **مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ) مما تَقَرُّ به العين، و ينشرح له الصدر -فكما صلوا في الليل، و دعوا، و **أخفوا العمل**:-

جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم،

و لهذا قال: ( **جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** )

ينبه تعالى العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين، و أن حكمته تقتضي عدم تساويهما 17

( **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا** ) قد عمر قلبه بالإيمان، و انقادت جوارحه لشرائعه، و اقتضى إيمانه آثاره و موجباته، من ترك

مساخط الله، التي يضر وجودها بالإيمان.

( **كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا** )

قد خرب قلبه، و تعطل من الإيمان، فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل و الظلم،

من كل إثم و معصية، و خرج بفسقه عن طاعة الله. أفيستوي هذان الشخصان؟

( **لَا يَسْتَوُونَ** )

عقلا و شرعاً، كما لا يستوي الليل و النهار و الضياء و الظلمة و كذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة 18

( **أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا** ) صَدَقَتْ قُلُوبُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ

( **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ) مُقْتَضَاهَا وَ هِيَ الصَّالِحَاتُ مِنْ فُرُوضٍ وَ نَوَافِلٍ

( **فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى** ) الجنات التي هي مأوى اللذات، و معدن الخيرات، و محل الأفراح،

و نعيم القلوب، و النفوس، و الأرواح، و محل الخلود، و جوار الملك المعبود،

و التمتع بقربه، و النظر إلى وجهه، و سماع خطابه.

(نَزَّلًا) لهم أي: ضيافة و قَرَى (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم هي التي أوصلتهم لتلك المنازل العالية العالية، التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، و لا بالجنود و الخدم، و لا بالأولاد، بل و لا بالنفوس و الأرواح، و لا يتقرب إليها بشيء أصلاً سوى الإيمان و العمل الصالح **19**

(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) خرجوا عن الطاعة (فَمَا أَوْدَاهُمُ) مقرهم و محل خلودهم (النَّارُ) التي جمعت كل عذاب و شقاء، و لا يُفْتَرُ عنهم العقاب ساعة.

(كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا) فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج، لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ، (أُعِيدُوا فِيهَا)

ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، و اشتد عليهم الكرب-يقال على وجه التقرير و التوبيخ:-

(وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ) فهذا عذاب النار، الذي يكون فيه مقرهم و مأواهم

(الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْتَبُونَ) في الدنيا **20**

و أما العذاب الذي قبل ذلك، و مقدمة له و هو عذاب البرزخ، فقد ذكر بقوله:-

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾  
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾  
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ  
 وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٣﴾  
 إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٤﴾  
 أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ  
 فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ  
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٨﴾  
 فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظَرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٢٩﴾

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ) لنذيقن الفاسقين المكذبين، نموذجًا (مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) (

و هو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه، قبل أن يموتوا:-

1- إما بعذاب بالقتل و نحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين،

2- وإما عند الموت و هذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر،

(دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) النار (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إليه و يتوبون من ذنوبهم 21

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ) لا أحد أظلم، و أزيد تعديًا، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه،  
 (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها، و لا اتبعها، بل أعرض عنها و تركها وراء  
 ظهره، فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النعمة،

و لهذا قال: (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ) سَأَنْتَقِمُ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ 22

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى) لما ذكر تعالى، آياته التي ذكر بها عباده، و هو: القرآن، الذي أنزله على محمد ﷺ:-

ذكر أنه ليس ببدع من الكتب، و لا من جاء به، بغريب من الرسل فقد آتى الله موسى

(الْكِتَابَ) الذي هو التوراة المصدقة للقرآن، التي قد صدقها القرآن، فتطابق حقهما، و ثبت برهانهما،



(فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ) مِنْ لِّقَاءِ مُوسَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(وَجَعَلْنَاهُ) الكتاب الذي آتيناہ موسى (هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ)

يهتدون به في أصول دينهم، و فروعه و شرائعه موافقة لذلك الزمان، في بني إسرائيل 23

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ) من بني إسرائيل (أَيُّمَةً) أي: علماء بالشرع، و طرق الهداية، مهتدين في أنفسهم،

(يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، و المؤمنون به منهم

على قسمين:- 1- أئمة يهدون بأمر الله، 2- و أتباع مهتدون بهم.

و القسم الأول:- أرفع الدرجات بعد درجة النبوة و الرسالة، و هي درجة الصديقين،

(لَمَّا صَبَرُوا) و إنما نالوا هذه الدرجة العالية —:-

1- الصبر على التعلم و التعليم 2- و الدعوة إلى الله، و الأذى في سبيله 3- و كفوا أنفسهم عن جماحها

في المعاصي، و استرسالها في الشهوات 4- لَمَّا صَبَرُوا عَنِ الدُّنْيَا،

و لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يَتَحَامَى عَنِ الدُّنْيَا.

(وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ) وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين:-

و هو [العلم التام، الموجب للعمل] O و إنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم:-

1- تعلموا تعلمًا صحيحًا 2- و أخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، و يستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذلك،

ف—بالصبر و اليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين— قال سفيان بن عيينة: لما أخذوا برأس الامر جعلناهم أئمة 24

و ثَمَّ مسائل اختلف فيها بنو إسرائيل:- 1- منهم من أصاب فيها الحق 2- و منهم من أخطأه خطأ، أو عمدًا،

(إِنَّ رَبَّكَ) و الله تعالى (هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ) يقضي بين المؤمنين و الكافرين من بني إسرائيل و غيرهم

(يَوْمَ الْقِيَمَةِ) بالعدل (فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمور الدين 25

(أَوَّلَمْ يَهْدِهِمْ) أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول، و يهدهم إلى الصواب.

(كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ) مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، الذين سلكوا مسلكهم، بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ

و مُخَالَفَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ وَ لَا عَيْنٌ وَ لَا أَثَرٌ؟

(يَمْسُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ) فيشاهدونها عيانًا، كقوم هود، و صالح، و قوم لوط.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) يستدل بها، على صدق الرسل، التي جاءتهم و بطلان ما هم عليه، من الشرك و الشر،

و على أن من فعل مثل فعلهم، فُعلَ بهم، كما فُعلَ بأشيعاه من قبل.

و على أن الله تعالى مجازي العباد، و باعثهم للحشر و التناد.

(**أَفَلَا يَسْمَعُونَ**) آيات الله، فيعونها، فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح، و عقل رجيح،

لم يقيموا على حالة يجزم بها، بالهلاك-أي: أَخْبَارَ مَنْ تَقَدَّمَ، كَيْفَ كَانَ أَمْرُهُمْ؟ **26**

( **أَوَلَمْ يَرَوْا** ) بأبصارهم نعمتنا، و كمال حكمتنا (**أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ**) التي لا نبات فيها،

فيسوق الله المطر، الذي لم يكن قبل موجوداً فيها، فيفرغه فيها، من السحاب، أو من الأنهار

(**فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا**) نباتاً، مختلف الأنواع (**تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ**) و هو نبات البهائم

(**وَأَنْفُسُهُمْ**) و هو طعام الآدميين (**أَفَلَا يَبْصُرُونَ**) تلك المنة، التي أحيا الله بها البلاد و العباد،

فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر، و تلك البصيرة، إلى الصراط المستقيم،

و لكن غلب عليهم العمى، و استولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك، بصر الرجال،

و إنما نظروا إلى ذلك، نظر الغفلة، و مجرد العادة، فلم يوفقوا للخير.

أي: يستعجل المجرمون بالعذاب، الذي وعدوا به على التكذيب، جهلاً منهم و معاندة **27**

(**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ**) الذي يفتح بيننا و بينكم، بتعدينا على زعمكم

كقوله تَعَالَى: {فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 118]

(**إِنْ كُنْتُمْ**) أيها الرسل (**صَادِقِينَ**) في دعواكم **28**

(**قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ**) الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئاً، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم،

لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقيناً، لكان لذلك وجه، و لكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر،

و لم يبق للمحنة محل ف— (**لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ**) لأنه صار إيمان ضرورية

(**وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**) يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم **29**

(**فَاعْرِضْ عَنْهُمْ**) لما وصل خطابهم إلى حالة الجهل، و استعجال العذاب.

(**وَأَنْظِرْ**) الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه، و لكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم و لا يتأخر.

(**إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ**) بك ريب المنون، و متربصون بكم دوائر السوء، و العاقبة للتقوى **30**

33- سورة الأحزاب - مدنية ﴿س﴾ **اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾  
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ  
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَىٰ تَطْلِهْرُونَ  
مِنْهُمْ أُمّهَتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ  
﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلَاخُونَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ  
وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾  
النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ  
فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا  
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) الذي من الله عليه بالنبوة، واختصه بوحيه (اتَّقِ اللَّهَ) اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه،  
(وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) لَا تَسْمَعْ مِنْهُمْ وَلَا تَسْتَشِرْهُمْ، ولا يصدنك عن هذا المقصود صاد  
(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)

فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ تَتَّبِعَ أَوْامِرَهُ وَتُطِيعَهُ، فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ 1

(و) لكن (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) مِنْ قُرْآنٍ وَ سُنَّةٍ،

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ 2

(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ وَ أَحْوَالِكَ

(وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَ أَنَابَ إِلَيْهِ 3

(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)

هذا لا يوجد، فإياكم أن تقولوا عن أحد:- إن له قلبين في جوفه، فتكونوا كاذبين على الخلقة الإلهية.

\* و لم تسجل كتب الطب و مراجعه العلمية في ذلك التخصص أو غيره على مدى تاريخها - وجود إنسان واحد يولد بقلبين،

(وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ) بأن يقول أحدهم لزوجته: «أنت عليّ كظهر أمي أو كأمي»  
فما جعلهن الله (أُمَّهَاتِكُمْ)

أملك من ولدتك و صارت أعظم النساء عليك، حرمة و تحريمًا، و زوجتك أحل النساء لك،  
فكيف تشبه أحد المتناقضين بالآخر؟ هذا أمر لا يجوز

(وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) و الأدعياء، الولد الذي كان الرجل يدعيه، و هو ليس له، أو يدعى إليه،  
بسبب تبنيه إياه، كما كان الأمر بالجاهلية، و أول الإسلام

(ذَلِكَ) القول، الذي تقولون في الدعي: إنه ابن فلان، الذي ادعاه، أو والده فلان

(قَوْلَكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) قول لا حقيقة له و لا معنى له-تَبَنَيْكُمْ لَهُمْ قَوْلٌ لَا يَفْتَضِي أَنْ يَكُونَ ابْنًا حَقِيقِيًّا،  
فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ صُلْبِ رَجُلٍ آخَرَ، فَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبَوَانِ، كَمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لِلْبَشَرِ الْوَاحِدِ قَلْبَانِ.  
(وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) العدل- اليقين و الصدق، فلذلك أمركم باتباعه، على قوله و شرعه،  
فقوله، حق، و شرعه حق، و الأقوال و الأفعال الباطلة، لا تنسب إليه بوجه من الوجوه، و ليست من هدايته،  
(وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ 4

(أَدْعُوهُمْ) انسبوهم أي: الأدعياء (لِأَبَائِهِمْ) الذين ولدوهم (هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) أعدل، و أقوم، و أهدى.  
\*\*\*وَ قَدْ كَانُوا يُعَامِلُونَهُمْ مُعَامَلَةَ الْأَبْنَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فِي الْخُلُوةِ بِالْمَحَارِمِ  
وَ غَيْرِ ذَلِكَ؛

صحيح البخاري 4782- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنِ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ {ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ}

(فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ) (فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَدِّ أَنْسَابِ الْأَدْعِيَاءِ  
إِلَى آبَائِهِمْ، إِنْ عُرِفُوا، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا آبَاءَهُمْ، فَهُمْ إِخْوَانُهُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيهِمْ  
أَي: عَوْضًا عَمَّا فَاتَهُمْ مِنَ النَّسَبِ.

وَ لِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَزَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -يَوْمَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ عَامَ عِمْرَةِ الْقِضَاءِ «أَنْتَ أَخُونَا وَ مَوْلَانَا» البخاري

(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ)

1-بأن سبق على لسان أحدهم، دعوته إلى من تبناه، فهذا غير مؤاخذ به،

2-أو علم أبوه ظاهرًا، فدعوتموه إليه و هو في الباطن، غير أبيه، فليس عليكم في ذلك حرج، إذا كان خطأ

(وَلَكِنْ) يؤاخذكم بـ (مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) من الكلام، بما لا يجوز (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) غفر لكم

(رَجِيمًا) و رحمكم حيث بين لكم أحكامه التي تصلح دينكم و دنياكم، حيث لم يعاقبكم بما سلف، و سمح لكم بما أخطأتم به، فله الحمد تعالى 5

(الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) أقرب ما للإنسان، و أولى ما له نفسه، فالرسول أولى به من نفسه لأنه ﷺ بذل لهم من النصح، و الشفقة، و الرأفة، ما كان به أرحم الخلق، و أرفهم، فرسول الله، أعظم الخلق منه عليهم، من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، و لا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه و بسببه. (وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ) في الحُرْمَةِ وَ الْإِحْتِرَامِ، وَ الْإِكْرَامِ وَ التَّوْقِيرِ وَ الْإِعْظَامِ، وَ لَكِنْ لَا تَجُوزُ الْخُلُوءُ بِهِنَّ، وَ لَا يَنْتَشِرُ التَّحْرِيمُ إِلَى بَنَاتِهِنَّ وَ أَخَوَاتِهِنَّ بِالْإِجْمَاعِ،

(وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) الأقارب، قربوا أو بعدوا (بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) في حكمه، فيرث بعضهم بعضًا، و ير بعضهم بعضًا، فهم أولى من الحلف و النصرة.

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) سواء كان الأقارب مؤمنين مهاجرين و غير مهاجرين، فإن ذوي الأرحام مقدمون في ذلك، و هذه الآية حجة على ولاية ذوي الأرحام، في جميع الولايات، كولاية النكاح، و المال، و غير ذلك.

(إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا)

أي: ليس لهم حق مفروض، و إنما هو بإرادتكم، إن شئتم أن تبرعوا لهم تبرعًا، و تعطوهم معروفًا منكم،

(كَانَ ذَلِكَ) الحكم المذكور- وَ هُوَ أَنَّ أَوْلِيَ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ،

(فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) حُكْمٌ مِنَ اللَّهِ مُقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، الَّذِي لَا يُبَدَّلُ، وَ لَا يُغَيَّرُ

○ أي: قد سطر، و كتب، و قدره الله، فلا بد من نفوذه. 6

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا كَانَتْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَآ وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُقَامُ لَكُمْ فَارِجُوعًا وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا )

○ يخبر تعالى أنه أخذ من النبيين عمومًا و من أولي العزم - و هم هؤلاء الخمسة المذكورون -

خصوصًا (مِيثَاقًا غَلِيظًا ) :- عهدهم الثقيل المؤكد، على :-

1- القيام بدين الله 2- و الجهاد في سبيله 3- و إبلاغ رسالته 4- و التعاون و التناصر و الاتفاق 7

(لَيْسَ لَكَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) و سيسأل الله الأنبياء و أتباعهم عن هذا العهد الغليظ هل وفوا فيه و صدقوا؟

فيشبههم جنات النعيم؟ أم كفروا فيعذبهم العذاب الأليم؟

(وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ) مِنْ أُمَّمِهِمْ {عَذَابًا أَلِيمًا} مُوجِعًا 8

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)

يذكر تعالى عباده المؤمنين، نعمته عليهم، و يحثهم على شكرها،

(إِذْ) حين (جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) أهل مكة و الحجاز، من فوقهم، و أهل نجد، من أسفل منهم، و تعاقدوا و تعاهدوا

على استئصال الرسول و الصحابة، و ذلك في وقعة الخندق و مالاتهم طوائف اليهود، الذين حوالي المدينة،

فجاءوا بجنود عظيمة و أمم كثيرة. و خندق رسول الله ﷺ، على المدينة، فحاصروا المدينة،

و اشتد الأمر و بلغت القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ،

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) وَ هُمْ الْمَلَائِكَةُ، زَلْزَلَتْهُمْ وَ أَلْقَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَ الْخَوْفَ،



فَكَانَ رَئِيسُ كُلِّ قَبِيلَةٍ يَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ إِلَيَّ. فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَيَقُولُ: النَّجَاءُ، النَّجَاءُ. لَمَّا أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرُّعْبِ.

(وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) لا يخفى عليه من ذلك شيء 9

(إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ) الاحزاب (وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) بنو قريظة ٥ فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة،

و الأمر كما وصف الله: - (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَ الْفَزَعِ

(وَنَظَّتُونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا) الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، و لا يتم كلمته 10

(هَٰذَا آيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ) بهذه الفتنة العظيمة (وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا) بالخوف و القلق، و الجوع

لثبتين إيمانهم، و يزيد إيقانهم، فظهر من إيمانهم، و شدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين و الآخرين 11

- و هنالك تبين نفاق المنافقين، و ظهر ما كانوا يضمرون قال تعالى:-

(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

و هذه عادة المنافق عند الشدة و المحنة:- لا يثبت إيمانه، و ينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة

و يصدق ظنه-

أَمَّا الْمُنَافِقُ، فَتَجَمَّ نِفَاقُهُ، وَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ شُبُهَةٌ أَوْ حَسِيكَةٌ، ضَعُفَ حَالُهُ فَتَنَّقَسَ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ الْوَسْوَاسِ فِي نَفْسِهِ لِه: 1- ضَعُفٌ فِي إِيْمَانِهِ، 2- وَ شِدَّةٌ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ ضِيقِ الْحَالِ.

(مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من النصر والتمكين (إِلَّا غُرُورًا) إلا باطلا من القول و غرورًا فلا تصدقوه 12

(وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ) وَ قَوْمٌ آخَرُونَ ٥ من المنافقين، بعد ما جزعوا و قلَّ صبرهم، و صاروا أيضًا من

المخذولين، فلا صبروا بأنفسهم، و لا تركوا الناس من شرهم، فقالت هذه الطائفة:

(يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) يريدون « يا أهل المدينة » فنادوهم باسم الوطن المنبئ عن التسمية:-

فيه إشارة إلى أن الدين و الأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر،

و أن الذي حملهم على ذلك، مجرد الخور الطبيعي.

(لَا مَقَامَ لَكُمْ) في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المدينة، و كانوا عسكروا دون الخندق، و خارج المدينة

(فَارْجِعُوا) إِلَى بُيُوتِكُمْ وَ مَنَازِلِكُمْ ٥ إلى المدينة، فهذه الطائفة تخذل عن الجهاد،

و تبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، و يأمرونهم بترك القتال،

فهذه الطائفة، شر الطوائف و أضرها، و طائفة أخرى دونهم، أصابهم الجبن و الجزع، و أحبوا أن ينخللوا عن

الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، و هم الذين قال الله فيهم:

(وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّقْ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) نَخَافُ عَلَيْهَا السَّرَقَ أَوْ الْخَطَرَ



و نخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء و نحن عُيِّبَ عنها، فَأُذِّنْ لَنَا نَرْجِعْ إِلَيْهَا، فنحرسها، و هم كذبة في ذلك.

(وَمَا هِيَ بِمَعْرُوفَةٍ) لَيْسَتْ كَمَا يَزْعُمُونَ (إِنْ يُرِيدُونَ) ما قصدهم (إِلَّا فِرَارًا) هَرَبًا مِنَ الزَّحْفِ ٥ و لكن جعلوا هذا

الكلام، وسيلة و عذرًا لهم فهؤلاء قل إيمانهم و ليس له ثبوت عند اشتداد المحن 13

(وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ أَقْطَارِهَا) لو دخل الكفار إليها من نواحيها، و استولوا عليها - لا كان ذلك-

(ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ) الانقلاب عن دينهم، و الرجوع إلى دين المستولين المتغلبين (لَا تَوَهَا) لأعطوها مبادرين.

(وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) و ما تأخروا عن الشرك إلا يسيرًا- ليس لهم منعة و لا تصلُّب على الدين،

بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، و يوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم 14

و الحال أنهم:- (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُوكَ إِلَّا ذَبْرًا)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى يُذَكِّرُهُمْ بِمَا كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ هَذَا الْخَوْفِ، أَلَّا يُولُوا الْأَذْبَارَ وَلَا يَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ،

(وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم إذا بر بهم؟ 15

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْعَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾  
 قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا  
 وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾  
 أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ  
 فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ  
 وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلَئِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ  
 فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ  
 اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ  
 قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

(قُلْ) لهم، لائماً على فرارهم، و مخبراً أنهم لا يفيدهم ذلك شيئاً

(لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ) فلو كنتم في بيوتكم، لبرز الدين كتب عليهم القتل إلى مضاجعكم. و الأسباب تنفع، إذا لم يعارضها القضاء و القدر، فإذا جاء القضاء و القدر، تلاشى كل سبب، و بطلت كل وسيلة، ظنها الإنسان تنجيه

(وَإِذَا) حين فررتم لتسلموا من الموت و القتل، و لتعلموا في الدنيا فإنكم (لَا تُنْعَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا)

متاعاً، لا يسوى فراركم، و ترككم أمر الله، و تفويتكم على أنفسكم، التمتع الأبدي، في النعيم السرمدى. 16

(قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ) يمنعكم (مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) شرّاً (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) فإنه هو المعطي المانع، الضار النافع الذي لا يأتي بالخير إلا هو، و لا يدفع السوء إلا هو.

(وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا) يتولاهم، فيجلب لهم النفع (وَلَا نَصِيرًا) ينصرهم، فيدفع عنهم المضار 17

ثم تواعد تعالى المخذلين المعوقين، و تهددهم فقال: - (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ) المثبتين عن الجهاد في سبيل

الله - عن الخروج، لمن لم يخرجوا (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ) أصحابهم و عشرائهم و خلطائهم - الذين خرجوا:

(هَلُمَّ إِلَيْنَا) إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال و الثمار أي: ارجعوا، كما تقدم من قولهم:

(يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) وهم مع تعويقهم و تخذيلهم:-(وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ) القتال و الجهاد بأنفسهم (إِلَّا قَلِيلًا) فهم أشد الناس حرصًا على التخلف،

لعدم الداعي لذلك، من:- الإيمان و الصبر،

و وجود المقتضى للجبن من:- النفاق، و عدم الإيمان. 18

(أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) بأبدانهم عند القتال و بأموالهم عند النفقة فيه فلا يجاهدون بأموالهم و أنفسهم.

(فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) نظر المغشى عليه

(تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛ خوفًا من القتل و فرارًا منه

(كَالَّذِي يُفْتَنُ عَلَيْهِ) كدوران عين من حضره الموت (مِنَ الْمَوْتِ) ط

من شدة الجبن، الذي خلع قلوبهم، و القلق الذي أذهلهم، و خوفًا من إجبارهم على ما يكرهون، من القتال.

(فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) و صاروا في حال الأمن و الطمأنينة (سَلَفُوكُمْ) خاطبوكم، و تكلموا معكم

(بِالسِّنَةِ حِدَادٍ) بكلام حديد، و دعاوى غير صحيحة-

(أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) ط

لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ، قَدْ جَمَعُوا الْجُبْنَ وَ الْكَذِبَ وَ قِلَّةَ الْخَيْرِ- و تراهم عند قسمة الغنائم بخلاء و حسدة،

○ الذي يراهم منهم، و هذا شر ما في الإنسان، أن يكون:-

شحيحًا بما أمر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه،

شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله،

شحيحًا بجاهه، شحيحًا بعلمه، و نصيحته و رأيه.

(أُولَئِكَ) الذين بتلك الحالة (لَمْ يُؤْمِنُوا) بسبب عدم إيمانهم (فَلَحَبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ) فأذهب الله ثواب أعمالهم.

(وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) سهلاً هيئاً عنده- و أما المؤمنون، فقد وقاهم الله، شح أنفسهم،

و وفقهم لبذل ما أمروا به من بذل:- 1- لأبدانهم في القتال في سبيله، و إعلاء كلمته

2- و أموالهم، للنفقة في طررق الخير 3- و جاههم 4- و علمهم. 19

(يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ) يظنون [أى المنافقون] أن هؤلاء الأحزاب الذين تحزبوا على حرب رسول الله ﷺ و أصحابه

[الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة]

(لَمْ يَذْهَبُوا) حتى يستأصلوهم، فخاب ظنهم، و بطل حسابهم- ذلك من شدة الخوف و الجبن،

(وَلَا يَأْتِ الْأَحْزَابُ) مرة أخرى- لو أتى الأحزاب مرة ثانية مثل هذه المرة،

(يُودُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ) وُدّ هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة، و لا في القرب منها

(يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) و أنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم،

و يسألون عن أنباءكم، ماذا حصل عليكم؟ فتبّا لهم، و بعداً، فليسوا ممن يُبالي بحضورهم

(وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) فلا تبالوهم و لا تأسوا عليهم-

و لَوْ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لَمَا قَاتَلُوا مَعَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا لِي\_\_\_\_\_1- كَثْرَةِ جُبْنِهِمْ 2- وَ ذَلَّتِهِمْ 3- وَ صَعْفِ يَقِينِهِمْ 20

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) حيث حضر الهيحاء بنفسه الكريمة، و باشر موقف الحرب

و هو الشريف الكامل، و البطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول الله ﷺ، بنفسه فيه؟

فَتَأَسَّوْا بِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَ غَيْرِهِ. و استدل الأصوليون في هذه الآية، على :-

1- الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ

2- و الأصل أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان:- 1- أسوة حسنة، 2- و أسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، و هو الصراط المستقيم.

و أما الأسوة بغيره، إذا خالفه:- فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعته الرسل للتأسي بهم

(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ)

(لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)

و هذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها و يوفق لها، من:- كان يرجو الله، و اليوم الآخر،

○ فإن ما معه من:- الإيمان، و خوف الله، و رجاء ثوابه، و خوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ

(وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا) و أكثر من ذكر الله و استغفاره، و شكره في كل حال 21

لما ذكر حالة المنافقين عند الخوف، ذكر حال المؤمنين فقال:-

(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) الذين تحزبوا، و نزلوا منازلهم، و انتهى الخوف

(قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) مِنَ الْإِبْتِلَاءِ وَ الْإِخْتِبَارِ وَ الْإِمْتِحَانِ الَّذِي يَعْقُبُهُ النَّصْرُ الْقَرِيبُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ:- (وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) فإننا رأينا ما أخبرنا به

(وَمَا زَادَهُمْ) ذلك الأمر - ذَلِكَ الْحَالُ وَ الضِّيقُ وَ الشَّدَّةُ مَا زَادَهُمْ

(إِلَّا إِيْمَانًا) في قلوبهم - بِاللَّهِ (وَتَسْلِيمًا) في جوارحهم، و انقيادًا لأمر الله- لرسوله

- دَلِيلٌ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيْمَانِ وَ قُوَّتِهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى النَّاسِ وَ أَحْوَالِهِمْ، كَمَا قَالَهُ جُمْهُورُ الْأُمَّةِ:- إِنَّهُ يَزِيدُ وَ يَنْقُصُ 22

**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴿٢٣﴾  
**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ** إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا  
**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَلَوْ كَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا** ﴿٢٤﴾  
**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ**  
**وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا** ﴿٢٥﴾ **وَأَوْثَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**  
**يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لَّا تَزُجُّكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْكُمْ أُمِّتُكُمْ** ﴿٢٦﴾  
**وَأَسْرَحَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا** ﴿٢٧﴾ **وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ**  
**فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴿٢٨﴾ **يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ**  
**يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴿٢٩﴾

\*الصحيح المسند من اسباب النزول: صحيح البخاري 2895 - عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: «يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع»، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: «اللهم إني أعوذ بك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، - يعني المشركين - ثم تقدم»، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحقال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم وجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنايه قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه:

**(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا)** وفوا به و أتموه و أكملوه، فبدلوا مهجهم في مرضاته، و سبّلوا أنفسهم في طاعته.

**(مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)** أوفوا بعهودهم مع الله تعالى،

**(فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ)** أجله-عهده و هو يرجع الى الاول-مَوْتُهُ عَلَى الصِّدْقِ وَ الْوَفَاءِ-نذره

**(وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ)** الْمَوْتَ عَلَى مِثْلِ ذَٰلِكَ

**(وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)** كما بدل غيرهم، بل لم يزلوا على العهد، لا يلوون، و لا يتغيرون 23

**(لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ)** بسبب صدقهم، في أقوالهم، و أحوالهم، و معاملتهم مع الله،

**(وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ)** الذين تغيرت قلوبهم و أعمالهم، عند حلول الفتن، و لم يفوا بما عاهدوا الله عليه.

**(إِنْ شَاءَ)** تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم.

**(أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ)** بأن يوفقهم للتوبة و الإنابة، و هذا هو الغالب، على كرم الكريم،

و لهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، و الفضل، و الإحسان

فقال:- **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا)** لذنوب المسرفين على أنفسهم، و لو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب.

**(رَجِئًا)** بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، و ستر عليهم ما اجترحوا **24**

**(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ)** ردهم خائبين، مغتاظين خاسرين لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه

قادرين عليه جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، و أعجبوا بتحزيبهم، و فرحوا بعدددهم و عُددِهِمْ.

**(لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا)** في الدنيا و لا في الآخرة- فأرسل الله عليهم، ريحًا عظيمة، و هي ريح الصبا،

**(وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)** بما صنع لهم من الأسباب العادية و القدرية- لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى مُنَازَلَتِهِمْ وَ مُبَارَزَتِهِمْ

حَتَّى يُجْلَوْهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ، بَلْ كَفَى اللَّهُ وَحْدَهُ، وَ نَصَرَ عَبْدَهُ، وَ أَعَزَّ جُنْدَهُ؛

\*الصحيح المسند من أسباب النزول\* سنن النسائي 661 - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

شَغَلَنَا الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ فِي الْقِتَالِ مَا نَزَلَ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}** [الأحزاب 25] فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَانَا فَأَقَامَ صَلَاةَ الظُّهْرِ فَصَلَّاهَا كَمَا كَانَ

يُصَلِّيُهَا بُوقَتِهَا، ثُمَّ أَقَامَ لِلْعَصْرِ فَصَلَّاهَا كَمَا كَانَ يُصَلِّيُهَا فِي وَقْتِهَا، ثُمَّ أَذَّنَ لِلْمَغْرِبِ فَصَلَّاهَا كَمَا كَانَ يُصَلِّيُهَا فِي وَقْتِهَا»

**(وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)** لا يغالبه أحد إلا غلب، و لا يستنصره أحد إلا غلب، و لا يعجزه أمر أراد **25**

**(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ)** عاونوهم- أَي: عَاوَنُوا الْأَحْزَابَ وَ سَاعَدُوهُمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

**(مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)** اليهود -يَعْنِي: بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ، مِنْ بَعْضِ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

كَانَ قَدْ نَزَلَ آبَاؤُهُمُ الْحِجَازَ قَدِيمًا، طَمَعًا فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

وَ الْإِنْجِيلِ، **{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}** [البقرة: 89] ،

**(مِنْ صِيَاصِيهِمْ)** أنزلهم من حصونهم، نزولا مظفورا بهم مجعولين تحت حكم الإسلام.

**(وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)** الخَوْفُ - فلم يقووا على القتال، بل استسلموا و خضعوا و ذلوا.

**(فَرِيقًا تَقْتُلُونَ)** و هم الرجال المقاتلون

**(وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا)** مَنْ عداهم من النساء و الصبيان- وَ الْأَسْرَاءُ هُمُ الْأَصَاغِرُ وَ النِّسَاءُ **26**

**(وَأَوْرَثَكُمْ)** غَنَمَكُمْ **(أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ)** جَعَلَهَا لَكُمْ مِنْ قَتْلِكُمْ لَهُمْ

**(وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهُا)** قِيلَ: خَيْبَرُ. وَ قِيلَ: مَكَّةُ. رَوَاهُ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ- وَ قِيلَ: فَارِسُ وَ الرُّومُ.

وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ مُرَادًا

**(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)** لا يعجزه شيء، و من قدرته، قَدَّرَ لَكُمْ مَا قَدَر

\*كانت هذه الطائفة من أهل الكتاب، هم بنو قريظة من اليهود، في قرية خارج المدينة، غير بعيدة



و كان النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة، وادعهم، و هادنهم، فلم يقاتلهم و لم يقاتلوه، و هم باقون على دينهم، لم يغير عليهم شيئاً. فلما رأوا يوم الخندق، الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله و كثرتهم، و قلة المسلمين، و ظنوا أنهم سيستأصلون الرسول و المؤمنين، و ساعد على ذلك، تدجيل بعض رؤسائهم عليهم، فنقضوا العهد الذي بينهم و بين رسول الله ﷺ، و مالؤوا المشركين على قتاله. فلما خذل الله المشركين، تفرغ رسول الله ﷺ لقتالهم، فحاصروهم في حصنهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ ؓ، فحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، و تسبي ذراريهم، و تغنم أموالهم. فأتم الله لرسوله و المؤمنين، المنة، و أسبغ عليهم النعمة 27

(يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) يطلبن منك زيادة النفقة:

○ أي: ليس لكن في غيرها مطلب، و صرتن ترضين لوجودها، و تغضبن لفقدها،

فليس لي فيكن أرب و حاجة، و أنتن بهذه الحال.

(فَتَعَالَيْنِ أُمِيتَعَنَّ) شيئاً مما عندي، من الدنيا (وَأَسْرَحَنَّ) أفارقكن (سَرَاحًا جَمِيلًا)

من دون مغاضبة و لا مشاتمة، بل بسعة صدر، و انشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي 28

(وَلِإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ) هذه الأشياء مرادكن، و غاية مقصودكن،

و إذا حصل لَكُنَّ الله و رسوله و الجنة، لم تبالين بسعة الدنيا و ضيقها، و يسرها و عسرها، و قنعتن من رسول الله بما تيسر، و لم تطلبن منه ما يشق عليه،

(فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك،

لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئاً، مع عدم الإحسان، فخيرهن رسول الله

ﷺ في ذلك، فاخترن الله و رسوله، و الدار الآخرة، كلهن، و لم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن 29

(يٰۤاَيُّهَا النِّسَاءُ النَّبِيُّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ) وَ هِيَ النُّشُورُ وَ سُوءُ الْخُلُقِ. وَ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَهُوَ شَرْطٌ

(يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) فجعل من أتى منهن بفاحشة ظاهرة، لها العذاب ضعفين. في الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

(وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) سهلاً هيئاً 30